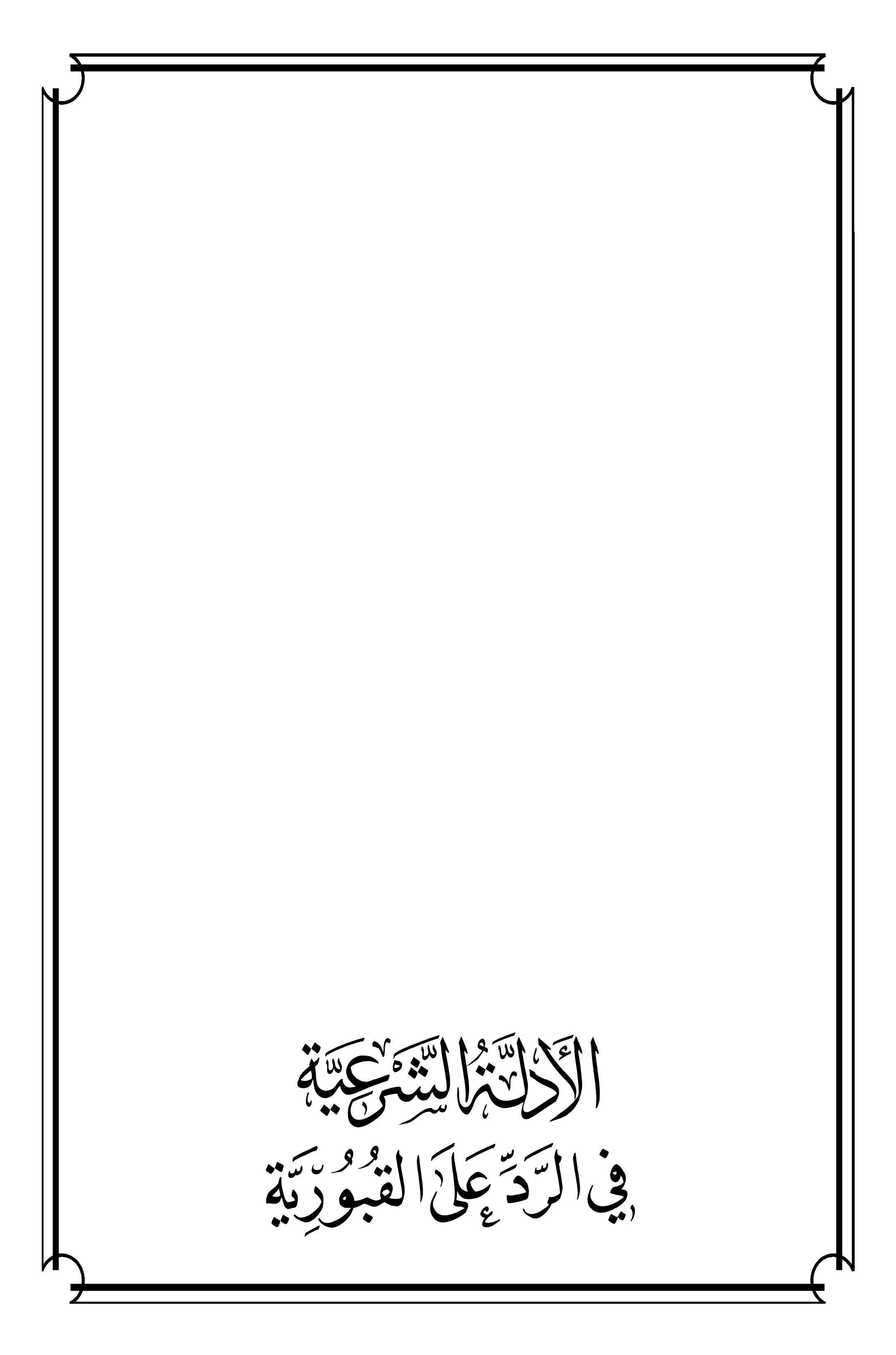


الأدلة الشرعية في الرد على القبورية



الطَّبعَةُ الأُولى

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

الأدلة الشرعية

في الرد على القبورية

تأليف

د/ حمد بن إبراهيم العثمان

قسم التفسير والحديث كلية الشريعة جامعة الكويت

تقديم

الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

العلامة
صالح بن فوزان الفوزان
حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فقد قرأت ما ألفه الشيخ: حمد بن إبراهيم العثمان في الرد على القبوريين فألفيته تأليفاً نافعاً بإذن الله موثقاً بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة. ومعلوم أن الشرك لا دليل عليه وإنما يعتمد أهله على الخرافات والشبه الواهية. وإنما الحجة والسلطان على التوحيد بالوحي المنزل والعقل السليم والفطرة المستقيمة والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٦/٧/١٤٢٢هـ



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل رسله وأنزل كتبه، ليقيم عليهم الحجة، وليدلهم إلىٰ صراطه المستقيم، فيعبدوه وحده لا شريك له، ويوحّدوه في أفعاله، ويتألهون له محبةً وتعظيمًا وإجلالًا، وحده لا شريك له. وقد أبان الله في كتابه مقصود خلق الخلق، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والرسل جميعًا بُعثوا بدعوة الخلق إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، والنبيون عليهم السلام حققوا التوحيد الذي بُعثوا به في مقاماتهم كلها، وفي كل حركة من حركاتهم، وسكنة من سكناتهم، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، ومن أوضح ما كان من سيرة النبيين عليهم الصلاة والسلام - إنزال حاجاتهم بالله وحده لا شريك له في الشدائد والنوازل والكرب وطلب كشف الضر وتحويله، إلا أنه قد ظهر قبلنا من يدعو الخلق إلىٰ إنزال حاجاتهم بغير الله، وطلب كشف الضر وتحويله من موتىٰ البشر الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم.

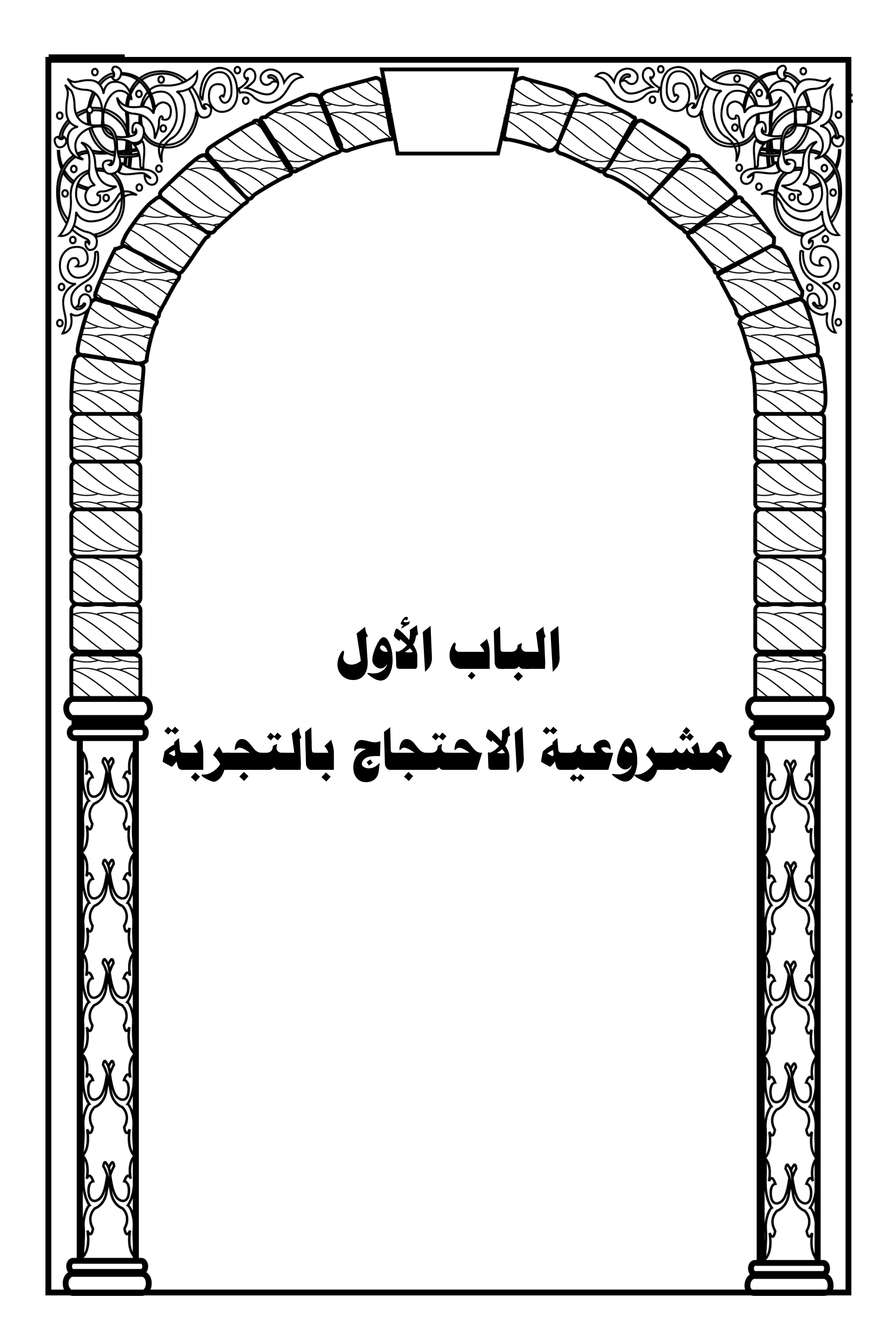
من أجل هذا كتبت هذه الرسالة، وضمّنتها الرد من مائة وجه علىٰ من زعم أن التجربة برهنت علىٰ أن الموتىٰ يجيبون ويقضون حاجات المستغيثين بغير الله.

وقد تفضل الوالد العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله بمراجعة الكتاب، وأفادني بملاحظات وتعليقات مهمة نافعة أثبتها في مواضع تنبيهاته، فجزاه الله خيرًا، وبارك في علمه وعمله وعمره، ونصر به الحق وأهله، آمين.

والله أسأل أن يعم الانتفاع بهذا الرد، ويكتب له القبول، آمين.

والحمد لله رب العالمين





الباب الأول
مشروعية الاحتجاج بالتجربة



الفصل الأول

مشروعية الاحتجاج بالتجربة

أولاً: قصص الأمم:

من أوضح أدلة القرآن علىٰ مشروعية الانتفاع من التجارب - هو ما ذكره الله في كتابه العزيز من قصص الأمم السابقة، وما ذاك إلا لننتفع من أحوالهم وتجاربهم وما جرىٰ علىٰ أعمالهم السليمة من الخير، وما نزل بأهل الشر من المثلات، قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد تدبر القرآن وقصصه[١]: «فإنها تطلع العبد علىٰ معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلىٰ طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله...».

وفي هذا أيضًا يقول العلامة حسين بن مهدي النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٧ هـ)[٢]: «ولله در التنزيل، وما جمع من الخير الجزيل، والتنبيه علىٰ أبواب الاعتبار والاستبصار، بذكر أحاديث من قبلنا، الذين مضوا في دراج الأعصار؛ ليكون كل إنسان علىٰ بصيرة من أمره، وبالأخص من ضن بنفسه عن متالف الأخطار، فخذ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٢).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (٢٥٧).

من كل أحد ما عنده من الحق، بعد نقد ما أعطاك، والاعتبار عليه، حتىٰ تُميِّز سمينه من هزيله، وإلا فقد خاطرت أشد المخاطرة، وهيهات النجاة».

ثانيًا: مدح الحكمة:

ومن أدلة القرآن علىٰ الاستفادة من التجربة هو ثناء الله علىٰ الحكمة، قال تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾.

[البقرة: ٢٦٩]

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «بمعنىٰ أن الإنسان قد يحصل له مع المران ومخالطة الناس من الحكمة وحسن التصرف ما لا يحصل له لو كان منعزلًا عن الناس، ولهذا أتىٰ بالفعل المضارع المبني للمفعول؛ ليعم كل طرق الحكمة التي تأتي، سواء أوتي الحكمة من قِبَل الله عَزَّوَجَلَّ، أو من قِبَل الممارسة والتجارب، علىٰ أن ما يحصل من الحكمة بالممارسة والتجارب فهو من الله عَزَّوَجَلَّ، هو الذي قيض لك من يفتح لك أبواب الحكمة، وأبواب الخير».

ووصف أبو مهدية الأعرابي قومًا، فقال: أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجربة، ولم تغررهم السلامة المنطوية علىٰ الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فذلت أنفسهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال[٢].

ثالثًا: النهي عن العود في الخطأ:

ومن أدلة القرآن علىٰ العمل بالتجربة هو الحض علىٰ الاستفادة من التجربة في

---

(١) تفسير سورة البقرة (٣/ ٣٥١).

(٢) بهجة المجالس (٢ - ١/ ٥٠٩).

محاذرة الضار والحرام والفساد، قال تعالىٰ: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: «ولهذا فإن من ذاق الشر من التائبين تكون كراهته له أعظم، وتحذيره وحذره عنه أبلغ؛ لأنه عرف بالتجربة آثاره القبيحة.

وفي الحديث: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان، ولا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»».

وقول: «لا حلم إلا لذي تجربة». ذكره البخاري عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مجزومًا به[٢]، قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٣]: «يريد أن من جرب الأمور وعرف عواقبها، وما يئول إليه أمر من ترك الحلم، وصبر علىٰ قليل من الأذىٰ؛ ليدفع به ما هو أكثر منه.

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنىٰ قوله: **«لا حلم إلا لذي تجربة»** أن المرء لا يوصف بالحلم ولا يترقىٰ إلىٰ درجته حتىٰ يركب الأمور ويجربها، فيعثر مرة بعد أخرىٰ، فيعتبر ويتبين مواضع الخطأ ويتجنبها».

وأما وجه وصف الحكيم بالتجربة، فقد قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن تخصيص الحكيم بذي تجربة يدل علىٰ خلافه في الحليم، فإن الحليم الذي ليس له تجربة قد يعثر في مواضع لا ينبغي فيها له الحلم، بخلاف الحكيم المجرب»[٤].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار، ص (١٢٨)، ط: دار الإفتاء - ١٤٠٥هـ.

(٢) كتاب الأدب، باب: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**». ص (١٠٦٨).

(٣) شرح صحيح البخاري (٩/ ٣٠٨).

(٤) شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٢٢٥).

رابعًا: رجوع النبي ﷺ لبرهان التجربة:

وهو من أوضح الأدلة علىٰ الاستفادة من برهان التجربة، فالنبي ﷺ لما هاجر إلىٰ المدينة رآهم يؤبرون النخل، فظن أن لا حاجة لذلك؛ لأنه كان قد رأىٰ كثيرًا من الأشجار تؤتي ثمرها بدون تلقيح، فقال لهم: «**ما أظن يغني ذلك شيئًا**». فتركوه، قال: فخرج شيصًا، فمر بهم فقال: «**ما لنخلكم؟**»، قالوا: قلت: كذا وكذا! قال: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[(١)].

فهذا الحديث واضح البرهان أن أمور الدنيا المرجع فيها إلىٰ أهل الدنيا وخبرتهم فيها، ودليل ذلك واضح في رواية في الحديث: «**إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي، فإنما أنا بشر**».

والناس يتوارثون معرفة النافع والضار بالتجربة، وما يستجد من تجاربهم يحتاج إلىٰ ممارسة وتجربة حتىٰ يعرفوا خيره من شره، وبهذا يظهر فضل الشريعة، فإن الشرع يعصم الإنسان من الشر بدون تجربة المخلوق.

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن الأشياء المخلوقة في الأرض منه غذاء، ومنه دواء، ومنه سم. والتجربة لا تفي بمعرفتها إلا بعد الأدوار[(٣)] العظيمة. ومع ذلك ففيها خطر علىٰ الأكثر. وفي البعثة فائدة معرفة طبائعها ومنافعها من غير ضرر ولا خطر».

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب: «وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره من معايش الدنيا علىٰ سبيل الرأي» (ص ١١٤٦ - رقم ٢٣٦١).

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين، ص (٥١٦).

(٣) هكذا في النسخة المطبوعة، ولعل صوابه: «الأدواء».

خامسًا: استفادة النبي ﷺ من تجارب غيره:

استفادة النبي ﷺ من تجارب غيره دليل علىٰ اعتبارها في ما لا يحرمه الشارع، فعن جدامة بنت وهب أخت عكاشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: حضرت رسول الله ﷺ في أناس وهو يقول: «**لقد هممت أن أنهىٰ عن الغِيلَة، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم، فلا يضر أولادهم ذلك شيئًا**»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «اختلف العلماء في المراد بالغيلة في هذا الحديث، وهي الغيل، فقال مالك في الموطأ، والأصمعي وغيره من أهل اللغة: أن يجامع امرأته وهي مرضع، يقال منه: أغال الرجل، وأغيل. إذا فعل ذلك.

وقال ابن السكيت: هو أن ترضع المرأة وهي حامل، يقال: منه غالت وأغيلت.

قال العلماء: سبب همه ﷺ بالنهي عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع. قالوا: والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء، والعرب تكرهه وتتقيه.

وفي الحديث جواز الغيلة، فإنه ﷺ لم ينه عنها، وبين سبب ترك النهي، وفيه جواز الاجتهاد لرسول الله ﷺ ، وبه قال جمهور أهل الأصول، وقيل: لا يجوز لتمكنه من الوحي. والصواب الأول».

سادسًا: حث النبي ﷺ على الاستفادة من التجربة:

ومن أوضح الأدلة علىٰ اعتبار التجربة حث النبي ﷺ علىٰ الاستفادة منها، فعن

---

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب «جواز الغِيلة - وهي وطء المرضع -»، (رقم ١٤٤٢ [١٤١] - ص ٩٠٢)، شرح النووي، ط: بيت الأفكار.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص (٩٠٢).

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»(١).

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «هذا يروىٰ علىٰ وجهين: **أحدهما**: علىٰ الخبر، وهو أن المؤمن الممدوح هو المتيقظ الحازم الذي لا يؤتىٰ من ناحية الغفلة، فيخدع مرة بعد أخرىٰ ولا يفطن هو به. وقد قيل: إنه الخداع في أمر الآخرة دون أمر الدنيا. **وثانيهما**: علىٰ النهي. أي: لا يخدعن المؤمن، ولا يؤتين من ناحية الغفلة، فيقع في مكروه، وهذا يصلح أن يكون في أمر الدنيا والآخرة».

والمؤمن حذر من أهل الشر، وإنما يُؤتىٰ ممن يُحسن الظن فيهم، أو من يُظهر أوبة وتوبة مما سبق من لؤمه وظلمه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** ﷺ **قال: «المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم»**(٣).

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «**الغرُّ**: هو الذي ينخدع لانقياده ولينه، وضدُّه الخبُّ، يقول: إن المؤمن المحمود من كان طبعه وشيمته الغباوة، وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، ولا يكون ذلك منه جهلًا، ولكنه كرمٌ وحسن خلق.

والفاجر: من كانت عادته الدهاء، والبحث عن الشر، ولا يكون ذلك عقلًا، ولكنه خبثٌ ولؤمٌ».

ولهذا تجد كثيرًا من أهل الفضل والديانة ينخدع من أهل الشر؛ لأنه مؤمن غرٌّ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**». (ص ١٠٦٨ - رقم ٦١٣٣)، ومسلم، كتاب الزهد: باب «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**». (ص ١٢٩٥ - رقم ٧٤٩٨).

(٢) شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٢٢٢).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٩٤)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب: في حسن العشرة. (ص ٦٧٨ - رقم ٤٧٩٠).

(٤) شرح السُّنَّة (١٣/ ٨٧).

كريم.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنَّك إلىٰ رسول الله ﷺ. قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخلَّيتُ عنه، فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**» قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجةً شديدةً وعيالًا، فرحمته فخلَّيتُ سبيله. قال: «**أما إنه قد كذبك، وسيعود**». فعرفت أنه سيعود؛ لقول رسول الله ﷺ: «**إنه سيعود**». فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنَّك إلىٰ رسول الله ﷺ. قال: دعني فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود. فرحمته فخلَّيت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟**» قلت: يا رسول الله، شكا حاجةً شديدةً وعيالًا، فرحمته فخلَّيت سبيله. قال: «**أما إنه قد كذبك، وسيعود**». فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنَّك إلىٰ رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أُعلِّمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هنَّ؟ قال: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتىٰ تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنَّك شيطان حتىٰ تُصْبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله. قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتىٰ تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتىٰ تُصبح

- وكانوا أحرص شيء علىٰ الخير -. فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟**» قال: لا. قال: «**ذاك شيطان**»[1].

ولهذا أهل الفضل والصلاح الذين لا يعرفون الشر ولا يفطنون له، يُلدغون أكثر من مرة، وذلك لما جُبلوا عليه من الخير وحسن الظن بالمسلمين.

كتب الحسين بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلىٰ الأحنف يدعوه إلىٰ نفسه، فلم يردَّ الجواب، وقال: قد جرَّبْنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إيالة للملك، ولا جمعًا للمال، ولا مكيدة في الحرب[2].

وكذلك الكريم يده مبسوطة بالعطاء، تتغير عليه الأحوال، وربما لا يشكر معروفه بعضهم، ومع هذا فلا يزال كريمًا؛ لأنه يبذل طاعة، وجبلة السخاء فيه تغلب وساوس الشح، فهذا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أصاب أموالًا، فقال له مولًىٰ له: قد رأيت ما مرَّ عليك من الضيق، فأمسك مالك.

قال: ويحك! إني لم أرَ السخيَّ تنفعه التجارب!

وكان ينفق علىٰ بني أمية[3].

وقال ابن شهاب رَحِمَهُٱللَّهُ: «الكريم لا تبخله التجارب». ويُروىٰ عنه أنه قال: «إن الكريم لا تُحْكِمهُ التجارب»[4].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوكالة، باب: «إذا وَكَّل رجلًا فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكِّل فهو جائز» (٤/ ٤٨٧ - رقم ٢٣١١).

(٢) عيون الأخبار (١/ ٣١١).

(٣) مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الإخوان (ص ٢٨٨ - رقم ٦١٤).

(٤) بهجة المجالس (١ - ٢/ ٦٤٠).

سابعًا: التجربة تنمية للعقل:

العقل نوعان: غريزي، وكسبي. قال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: العقل نوعان: عقل تجارب، وعقل نحيزة، فإذا اجتمعا في رجل فذاك الذي لا يُقام له، وإذا تفردا كانت النحيزة أولاهما[(١)].

قال الأصمعي رَحِمَهُٱللَّهُ: وصف أعرابي قومًا، فقال: أولئك قوم أدَّبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تَغْرُرْهم السلامة المنطوية علىٰ الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فقالت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال، وشفعوه بالفعال[(٢)].

وقال المدائني[(٣)]: «وكان يُقال: كل شيء يحتاج إلىٰ العقل، والعقل يحتاج إلىٰ التجارب».

وقد استفاد الأصمعي رَحِمَهُٱللَّهُ نفسه من تجارب غيره، قال الأصمعي رَحِمَهُٱللَّهُ[(٤)]: «قرأت في كتاب من كتب الروم: إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر إلىٰ لسانها، فإن الجنين يكون علىٰ لونه».

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ[(٥)]: «إن العقل المُفرد لا يُقوىٰ به علىٰ أمر العامة، ولا يكتفىٰ به في أمر الخاصة، فأحْيِ عقلك بعلم العلماء والأشراف من

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقل (ص ٥٠ – رقم ٣٦).

(٢) المنتقىٰ من مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي، انتقاء الحافظ السلفي (رقم ٩٢ – ص ٥٥).

(٣) المجالسة وجواهر العلماء (٤١٦ – رقم ٥٩٩/ ٢).

(٤) عيون الأخبار (٢/ ٨٩).

(٥) بهجة المجالس.

أهل التجارب والمروءات».

وقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[(١)]: «سُئل بعض العرب عن العقل؟ فقال: لُبٌّ أعنْتهُ بتجريب».

فالناس لا شك أنهم يستفيدون من تجارب غيرهم، ويسترشدون بما مارسه الناس، فيكتسبون معرفة غيرهم بما لم يباشروه. قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: السعيد من وُعظ بغيره[(٢)].

قال الحكم بن عبد الله: «كانت العرب تقول: العقل التجارب، والحزم سوء الظن».

قال أبو حاتم ابن حبان رَحِمَهُٱللَّهُ **معلقًا**[(٣)]: «لا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتىٰ تكون له خبرة بالتجارب، والعاقل يكون حسن المأخذ في صغره، صحيح الاعتبار في صباه، حسن العفة عند إدراكه، رضي الشمائل في شبابه، ذا الرأي والحزم في كهولته، يضع نفسه دون غايته برتوة، ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها؛ لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار إلىٰ النقص».

وقال ابن أبي ليلىٰ رَحِمَهُٱللَّهُ: «يثغر الغلام في سبع، ويحتلم في أربع عشرة، وينتهي طولُهُ في إحدىٰ وعشرين، ويستكملُ العقل في ثمان وعشرين، فلا يزداد عقلًا إلا بالتجارب»[(٤)].

---

(١) العقل لابن أبي الدنيا (ص ٥٠ - رقم ٣٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) روضة العقلاء (ص ٢٢).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (٨/ ١٠١ - رقم ٤٣٨).

وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها، وما أنفع التجارب للمبتدي».

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري:

«ألم تـــر أن العقــل زيــن لأهلــه **وأن كمال العقـل طـول التجـارب**

وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النهىٰ **ويـــزداد في أيامـــه بالتجـــارب»**

وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**[٢]: «العاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأىٰ، ويضيف ما لم يسمع منها إلىٰ ما قد سمع، وما لم يصب منها إلىٰ ما قد أصاب، وما بقي من عمره بما فني، وما لم ينل منها بما قد أوتي».

وقال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣]: «اعتقد لنفسك ما يدوم، واستدل بما كان علىٰ ما يكون».

وقال سواد بن قارب لقومه[٤]: «يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم، ومن شقائهم أن لا يتعظوا إلا بأنفسهم، وإن من لم تنفعه التجارب ضرته».

ثامنًا: العمل بالتجربة من ضروريات العقل:

العمل بالتجربة من ضروريات العقل، فالاستفادة من التجربة دلَّ عليها العقل كما دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) روضة العقلاء (ص ٢٢).

(٢) روضة العقلاء (ص ٢٥).

(٣) بهجة المجالس (٢/ ٢٤٧).

(٤) الآيات البينات لابن دحية (ص ٣٢٠).

قال أبو علي الرجراجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٨٩٩هـ)**[(١)]: «وهذه الأنواع الثلاثة التي هي: المتواترات، والتجريبيات، والحدسيات - مشتركة في الحس والعقل».

ثم قال: «وأما المجربات فبيان ذلك فيها: أن الليمون أو الثمر مثلًا لا بد أن يباشر الحس ذلك أول مرة، فيجده حلوًا أو حامضًا، فيشك العقل في ذلك، فيقول: لعل هذا الفرد من هذا الجنس أصابه عارض أوجب له ذلك. كما توجد المرارة في بعض أفراد الفقوس والخيار، مع كون الجنس في نفسه ليس كذلك، وهذا حظ الحس فيها، ثم بعد ذلك إذا كثر ذلك في أفراد عديدة وتكرر ذلك في أشخاص كثيرة من ذلك الجنس - يقول العقل: كل ليمونة حامضة، وكل ثمرة حلوة. فيحصل العلم بذلك، وهذا حظ العقل فيها»[(٢)].

وقال أيضًا: «فالحاصل مما قررناه: أن الأصناف - أعني: المتواترات، والمجربات، والحدسيات - اشتركت في الحس والعقل، واشتركت أيضًا في أول مرة يحصل الشك، وعند التكرار يحصل الظن، وعند طول التكرار يحصل العلم، فإذا ظهر الاشتراك بينها، فالفرق بينها أن المتواترات تختص بالأخبار، والحدسيات تحتاج إلىٰ النظر حالة الحكم علىٰ الجزئيات، والمجربات لا تحتاج إلىٰ النظر حالة الحكم علىٰ الجزئيات.

فإذا قال لك قائل مثلًا: معي درهم، هل هو جيد أو رديء؟ فلا بد أن تقول: حتىٰ أنظر إليه؛ لأن هذا من الحدسيات.

---

(١) رفع النقاب عن تنقيح الشهاب (١/ ٦٢٠).

(٢) رفع النقاب عن تنقيح الشهاب (١/ ٦٢١).

وإذا قال لك القائل: معي ليمونة هل هي حامضة أم لا؟ فإنك تقول: هي حامضة. ولا تحتاج إلىٰ النظر في الجزئيات؛ لأن هذا من المجربات»[١].

فدلالة العقل صريحة علىٰ قبول التجربة، والاسترواح إلىٰ نتائجها، قال الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٠هـ)[٢]: «التجربيات ويعبر عنها باطراد العادات، ككون النار محرقة، والخبز مشبعًا، والماء مرويًا، والخمر مسكرًا، والحجر هاويًا، وهي يقينية عند من جربها، وليست هذه محسوسة، فإن الحس شاهد حجرًا يهوي بعينه، أما أن كل حجر هاوٍ فقضية عامة لم يشاهدها، وليس للحس إلا قضية في عين».

ولذلك نجد أن هذا العلم مشترك بين الناس؛ لأن ما يطرد من طبيعة الأرض والبشر نتائجه واحدة إلا لعارض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[٣]: «وجود الشبع والريّ عقيب الأكل والشرب هو من المجربات، والناس يشتركون في جنسه، وكذلك وجود اللذة بذلك، وبالجماع وغير ذلك، بما إذا فعله الإنسان وجد عقيبه أثرًا من الآثار، ثم يتكرر ذلك حتىٰ يعلم أن ذلك سبب هذا الأثر، فهذا هو التجربيات.

والقضايا الظنية أصلها التجربيات، وهو من هذا الباب، فإن المراد أنه إذا استعمل الدواء الفلاني وجد زوال المرض، أو حصل به ألم المرض.

فوجود المرض بهذا ووجود زواله بهذا هو من التجربيات، وكذلك الآلام

---

(١) رفع النقاب عن تنقيح الشهاب (١/ ٦٢٢، ٦٢٣).

(٢) روضة الناظر (ص ٢٢)، ط: دار الزاحم.

(٣) الرد علىٰ المنطقيين (ص ٣٨٦).

واللذات التي تحصل بالمشمومات، والمسموعات، والمرئيات، والملموسات، فإن الحسَّ ينال هذا، ويرىٰ هذا، ويسمع هذا، ويذوق هذا، ويلمس هذا.

ثم وجود اللذة في النفس هو من الوجديات المعلومات بالحس الباطن، وهو من جنس الحسيات الظاهرة.

وأما الاعتقاد الكلي القائم في النفس من أن هذا الجنس يحصل به اللذة، وهذا الجنس يحصل به الألم - فهذا من التجربيات، إذ الحسيّات الظاهرة والباطنة ليس فيها شيء كلي.

فالقضاء الكلي الذي يقوم بالقلب هو مركب من الحسِّ والعقل، وهو التجربيات، كما في اعتقاد حصول الشبع والريّ بما يعرف من المأكولات والمشروبات، والموت والمرض بما يعرف من السموم القاتلة والأسباب الممرضة، وزوال ذلك بالأسباب المعروفة، وكل هذا من القضايا التجربية، فالحس به تعرف الأمور المعينة، ثم إذا تكررت مرةً بعد مرةٍ أدرك العقل أن هذا بسبب القدر المشترك الكلي، فقضىٰ قضاءً كليًّا أن هذا يورث اللذة الفلانية، وهذا يورث الألم الفلاني».

ولذلك فإن غير المحسوس لا تجري فيه التجربة؛ لأنه لا تحسه ولا تشاهده فلا يمكنك أن تستنتج منه أحوالًا مطردة؛ لأنه لا سبيل إلىٰ تجربته.

فمثلًا جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فليستنثر ثلاثًا، فإن الشيطان يبيت علىٰ خيشومه**»(١).

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (ص ٥٤٨ - رقم ٣٢٩٥)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الإيثار في الاستنثار والاستجمار (ص ١١٩ - رقم ٥٦١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتىٰ يغسلها ثلاثًا، فإنه لا يدري أين باتت يده»(١).

فهنا الأمر بالاستنثار أو غسل اليدين سببه غير ظاهر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فعلَّل الأمر بالغسل بمبيت الشيطان علىٰ خيشومه، فعُلم أن سبب ذلك للطهارة من غير النجاسة الظاهرة، فلا يستبعد أن يكون هو السبب لغسل يد القائم من نوم الليل».

فلا يجوز لأحدٍ أن يتحذلق ليرصد بالأجهزة الحديثة ما يجري ليد النائم لعله يكتشف بالتجربة سبب الاستنثار أو غسل اليدين.

قال والدنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه إثبات نبوة الرسول ﷺ؛ لأن مثل هذا لا يُعلم بالحسِّ، وإنما يُعلم بالوحي؛ إذ إن هذه حال الإنسان وهو نائم، ولا يعلم أحدٌ ما يحدث له»(٣).

إذًا التجربة ميدانها القضايا الطبيعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «القضايا الطبيعية مبناها علىٰ ما ينقله بعض الناس من التجارب».



---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) القواعد النورانية (١/ ٧٧).

(٣) شرح بلوغ المرام (١/ ٢٨٠).

(٤) الرد علىٰ المنطقيين (ص ٣٨٩).

الفصل الثاني

محل التجربة في المسكوت عنه شرعًا

ما حرمته الشريعة فإن التجربة لا تبيحه؛ لأن الله لا يُحرّم شيئًا إلا إذا كانت مفسدته خالصة أو راجحة، قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رادًّا علىٰ ما يذكره البعض من أن الخمر تدفع الأدواء الباردة، وأن هذا معلوم بالتجربة(١): «أما قولك: لا يجوز أن يقال: هي دواء. فهو حق، وكذلك القول في سائر المحرمات، علىٰ ما دلَّ عليه الحديث الصحيح: «**إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام**». ثم ماذا تريد بهذا؟ أتريد أن الله لم يخلق فيها قوة طبيعية من السخونة وغيرها؟ جرت العادة في الكفار والفساق أنه يندفع فيها بعض الأدواء الباردة، كسائر القوىٰ والطبائع التي أودعها جميع الأدوية من الأجسام.

أم تريد شيئًا آخر؟ فإن أردت الأول فهو باطل بالقضايا المجربة التي تواطأت عليها الأمم، وجرت عند كثير من الناس مجرىٰ الضروريات، بل هو رد لما يشاهد ويعاين، بل قد قيل: إنه رد للقرآن. لقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، ولعل هذا في الخمر أظهر من جميع المقالات المعلومة من طب الأبدان.

وإن أردت أن النبي ﷺ أخبر أنها داء النفوس، والقلوب، والعقول، وهي أم

---

(١) الفتاوىٰ المصرية (١/ ٣٩٢، ٣٩٣).

الخبائث، والنفس والقلب هو الملك المطلوب صلاحه وكماله، وإنما البدن آلة له، وهو تابع له، مطيع له طاعة الملائكة ربها، فإذا صَلُح القلب صَلُح البدن كله، وإذا فسد القلب فسد البدن كله.

فالخمر هي داء، ومرض للقلب، مفسد له، مضعضع لأفضل خواصه الذي هو العقل والعلم، وإذا فسد القلب فسد البدن كله، كما جاءت به السُّنَّة، فتصير داءً للبدن من هذا الوجه بواسطة كونها داءً للقلب، وكذلك جميع الأموال المغصوبة والمسروقة، فإنه ربما صلح عليها البدن، ونبت، وسمن، لكن يفسد عليها القلب فيفسد البدن بفساده.

وأما المصلحة التي فيها، فإنها منفعة للبدن فقط، ونفعها متاع قليل، فهي وإن أصلحت شيئًا يسيرًا فهي في جنب ما تفسده كلا إصلاح، فهذا بعينه معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾.

فهذا لعمري شأن جميع المحرمات، فإنه فيها من القوىٰ الخبيثة التي تؤثر في القلب ثم البدن في الدنيا والآخرة - ما يربي علىٰ ما فيها من منفعة قليلة، تكون في البدن وحده في الدنيا خاصة.

علىٰ أنّا وإن لم نعلم جهة المفسدة في المحرمات، فإنّا نقطع أن فيها من المفاسد ما يربي علىٰ ما نظنه من المصالح، فافهم هذا، فإنّ به يظهر فقه المسألة وسرها».

فالشرع حاكم علىٰ التجربة، وليس العكس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد علمت جماعة ممن سأل حاجته من بعض المقبورين من الأنبياء والصالحين، فقضيت حاجته، وهو لا يخرج عما ذكرته، وليس ذلك بشرع فيُتّبع، ولا سُنَّة، وإنما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها دينًا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ،

وما كان عليه السابقون الأولون، وما سوىٰ هذه من الأمور المحدثة فلا يستحب، وإن اشتملت أحيانًا علىٰ فوائد؛ لأنّا نعلم أن مفاسدها راجحة علىٰ فوائدها»[(١)].

إذًا معيار التجربة لا يجوز إعماله مقطوعًا عن أحكام الشريعة، فحصول المقصود علىٰ أي وجه كان غير جائز في شريعتنا، فحينئذ يتبين فساد التأصيل بحجية التجربة مطلقًا، فهذا يجب تقييده في المباحات.

والدليل علىٰ فساد طلب المقصود بأي وسيلة كانت قوله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمر به، فلو أنه أصاب المعنىٰ في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس علىٰ جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ، والله أعلم».

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما نقل احتجاج سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتجربة بالتوسعة علىٰ العيال يوم عاشوراء، وأنه سبب للتوسعة من الله - تعقبه بقوله[(٤)]: «وأما قول ابن عيينة فإنه لا حجة فيه، فإن الله سبحانه أنعم عليه برزقه،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢١٨).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ (٢/ ١٢٥٤ - رقم ٨٠٣٢)، وأبو داود، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بلا علم (ص ٥٢٤ - رقم ٣٦٥٢)، والترمذي (ص ٦٦٣ - رقم ٢٩٥٢)، وقال: هذا حديث غريب، وصححه العلامة الألباني (صحيح سنن أبي داود، رقم ٣٦٥٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ١١).

(٤) الفتاوىٰ الكبرىٰ (١/ ٢٠٤).

وليس في إنعام الله بذلك ما يدل علىٰ أن سبب ذلك كان التوسيع يوم عاشوراء، وقد وسَّع الله علىٰ من هم أفضل الخلق من المهاجرين والأنصار ولم يكونوا يقصدون أن يوسعوا علىٰ أهليهم يوم عاشوراء بخصوصه».

ثم قال في السياق نفسه[(١)]: «فإن الدجال يقول للسماء: أمطري. فتمطر، ويقول للأرض: أنبتي. فتنبت، ويقول للخرجة: أخرجي كنوزك. فتخرج معه كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلًا ثم يأمره أن يقوم فيقوم، وهو مع هذا كافر ملعون عدو لله، قال النبي ﷺ: «**ما من نبي إلا قد أنذر أمته الدجال: وأنا أنذركموه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر - ك ف ر - يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ**».

فالله عَزَّوَجَلَّ أعلم: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. فحكم الله لا يجوز تعديله بدعوىٰ التجربة، ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ [الرعد: ٤١]، وإنما وكَّل الله إلينا العمل بالتجربة في أمور الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن كان سبب الفرق مأخذًا شرعيًّا: كان الفرق قول له، وإن كان سبب الفرق مأخذًا عاديًّا وحسيًّا ونحو ذلك مما قد يكون أهل الخبرة به أعلم من الفقهاء الذين لم يباشروا ذلك - فهذا في الحقيقة لا يفرق بينهما شرعًا، وإنما هو أمر من أمر الدنيا لم يعلمه العالم، فإن العلماء ورثة

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (١/ ٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) القواعد النورانية الفقهية (ص ١٩٢).

الأنبياء، وقد قال النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم، فأما ما كان من أمر دينكم فإليّ**».

ومعرفة أحكام وأحوال الأشياء بالتجربة حاجة ملحة لبني آدم في الأمور الدنيوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الحسيات يضطر إليها الإنسان بغير اختياره، كما قد يرىٰ الإنسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره، كما أن النظار لهم قياس ومعقول، وأهل السمع لهم أخبار منقولات، وهذه الأنواع الثلاثة هي طرق العلم: الحس، والخبر، والنظر، وكل إنسان يستدل من هذه الثلاثة في بعض الأمور، لكن يكون بعض الأنواع أغلب علىٰ بعض الناس في الدين وغير الدين، كالطب فإنه تجربات وقياسات، وأهله منهم من تغلب عليه التجربة، ومنهم من يغلب عليه القياس، والقياس أصله التجربة، والتجربة لا بد فيها من قياس».



---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٧٥).



الفصل الثالث

ضرورة تمييز المعلوم بالتجربة من الأوهام

ونحن نتحدث عن الاستدلال بالتجربة نلفت نظر القارئ إلىٰ ضرورة التمييز بين المعلوم بالتجربة وبين الأوهام، فإن بعض الناس يتوهم أشياء علىٰ خلاف ما هي عليه في الواقع، إما لأنه لم يتحقق من الأمور، أو أخذ المعلومة بالتلقين، أو شاهد النتيجة دون أن يعرف مولداتها وأسبابها.

والأمثلة على ذلك كثيرة:

من ذلك أن اليهود كانت تقول: إذا جامع الزوج زوجه من ورائها جاء الولد أحول. فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

ومن ذلك أن كعب الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يتوهم أن الجراد متولد من البحر، لذلك كان يُرخص بأخذه للحرم بنسك حج أو عمرة، حيث قال: «والذي نفسي بيده إن هو إلا نُشْرَة حوت ينشره في كل عام مرتين»[١].

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٩٤هـ)**[٢]: «أقسم كعب الأحبار علىٰ ذلك معتمدًا علىٰ ظنِّه ذلك فيما تلقاه من علوم اليهود قبل إسلامه، وقسمه هذا من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ به الحالف، وهذا ظن قديم يظنه الناس الذين لا يشاهدون كيفية تولد الجراد؛ لأنه يتولد في الصحاري الرملية، فإذا طار ألقته الرياح بالبحر ويرميه البحر، فيراه أهل الشطوط، فيحسبونه

---

(١) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١/ ٤٤٩ - رقم ١١٤٢).

(٢) كشف المغطىٰ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (ص ١٩٨).

خرج من البحر، فإذا رأوه طائرًا ظنوه طار من البحر، وهذا خطأ، بل هو من خشاش الأرض يتولد كما يتولد النمل، وقد وضعت العرب أسماء لبيضته ودوده، وفي القرآن: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. فشبَّه هيئة خروجهم من القبور بهيئة خروج الجراد من بيوته، وفي القرآن: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]. والفراش: دود الجراد قبل أن يستكمل الأجنحة.

وسكوت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على فتوى كعب الأحبار في الجراد سكوت توقُّف؛ لعدم ظهور دليل خطأ كعب الأحبار.

ومالك رَحِمَهُ اللَّهُ لم يأخذ بقول كعب، ورأى على من قتل الجراد وهو محرم الفدية.

وهذا يكشف حال الحديثين اللذين أخرجهما أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الجراد من صيد البحر**». وقد قال أبو داود عقب ذلك: والحديثان وهم.

وفي أحد الحديثين أبو المهزِّم وهو الذي اقتصر عليه الترمذي، فأما الترمذي فقال: هذا الحديث لا نعرفه إلا من حديث أبي المهزِّم، وقد تكلم فيه شعبة.

وأما أبو داود فقال: أبو المهزِّم ضعيف».

ومن ذلك توهم البعض أن التدين سبب ضنك العيش وقلة الرزق، وما أشبه قول هؤلاء لمن قال لموسى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾.

[الأعراف: ١٢٩]

وهذا إنما يقوله من عمي عن رؤية نعم الله في خلقه عمومًا، وفي أهل الدين خصوصًا، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]. فالدين

سبب خير الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

قال أبو الحسن الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٥٠ هـ)**[(١)]: «وعلة هذا: أنهم ربما رأوا عاقلًا غير محظوظ، وعالمًا غير مرزوق، فظنوا أن العلم والعقل هما السبب في قلة حظه ورزقه، وقد انصرفت عيونهم عن حرمان أكثر النوكىٰ، وإدبار أكثر الجُهَّال؛ لأن في العقلاء والعلماء قلة، وعليهم من فضلهم سمة، ولذلك قيل: العلماء غرباء، لكثرة الجُهَّال، فإذا ظهرت سمة فضلهم، وصادف ذلك قلة حظ بعضهم - تنوهوا بالتمييز، واشتهروا بالتعيين، فصاروا مقصودين بإشارة المتعنِّتين، ملحوظين بإيماء الشامتين، والجهال، والحمقىٰ لما كثروا ولم يتخصصوا انصرفت عنهم النفوس: فلم يُلحظ المحروم منهم بطرْفِ شامت، ولا قُصد المحدود منهم بإشارة عائب، فلذلك ظن الجاهل المرزوق: أن الفقر والضيق مختصان بالعلم والعقل، دون الجهل والحمق، ولو فتشت أحوال العلماء والعقلاء مع قلتهم، لوجدت الإقبال في أكثرهم، وإنما يصير ذو الحال الواسعة منهم ملحوظًا مشتهرًا؛ لأن حظه عجب، وإقباله مستغرب، كما أن حرمان العاقل العالم غريب، وإقلاله عجيب».

ومما يتعلق بهذا المبحث ضرورة حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا سجن المؤمن**»[(٢)]. وهذا توجيهه أن المؤمن قيَّده إيمانه عن المحظورات، والكافر مطلق التصرف، والثاني أن ذلك باعتبار العواقب، فالمؤمن لو كان أنعم

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص ٣٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» (ص ١٢٨١ - رقم ٧٤١٧).

الناس، فذلك بالإضافة إلىٰ مآله في الجنة كالسجن، والكافر عكسه، فإنه لو كان أشد الناس بؤسًا فذلك بالنسبة إلىٰ النار جنته[(١)].

فلا بد من التمييز بين الحقيقة والوهم، فالأوهام تصورات خاطئة وخيالات فاسدة تصد عن الحق وتقطع عن الخير.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما قطع العبد عن كماله وفلاحه وسعادته العاجلة والآجلة قاطع أعظم من الوهم الغالب علىٰ النفس، والخيال الذي هو مركبها بل بحرها الذي لا تنفك سابحة فيه، وإنما يقطع هذا العارض بفكرة صحيحة وعزم صادق يميز بين الوهم والحقيقة»[(٢)].



(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١٢٥).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣).



الفصل الرابع

التجارب تختلف

التجربة حسن العمل بها إذا لم تعارض حكمًا شرعيًّا، أما الابتداع وجعل التجربة حاكمة علىٰ الشرع فهذا من التقدم بين يدي الله ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١].

ومع هذا نقول: إن التجارب تختلف نتائجها خصوصًا في الأمور المبتدعة، فحينئذٍ ينخرم الاحتجاج بها، والشرع لا يمنع شيئًا إلا إذا كانت مفسدته خالصة أو راجحة.

والتجربة برهانها نجريه في المعلوم المتيقن من سنن الله الكونية فيما نتحقق حاله ببرهان التجربة.

ومن الأمثلة علىٰ اختلاف نتائج التجارب في البدعيات - ما استحسنه البعض من اجتماع الناس للدعاء لرفع البلاء من الطاعون بالاستسقاء، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥٢هـ)[١]: «وأما الاجتماع له - كما في الاستسقاء - فبدعة حدثت في الطاعون الكبير سنة تسع وأربعين وسبع مائة بدمشق، فقرأت في «جزء» المنبجي، بعد إنكاره علىٰ من جمع الناس في موضع، فصاروا يدعون ويصرخون صراخًا عاليًا، وذلك في سنة أربع وستين وسبع مائة، لما وقع الطاعون بدمشق، فذكر أن ذلك حدث سنة تسع وأربعين، وخرج الناس

(١) بذل الماعون في فضل الطاعون، ص (٣٢٨ - ٣٣٢)، باختصار يسير جدًّا.

إلىٰ الصحراء، ومعظم أكابر البلد، فدعوا واستغاثوا، فعظم الطاعون بعد ذلك وكثر، وكان قبل دعائهم أخف».

قلت: ووقع هذا في زماننا، حين وقع أول الطاعون بالقاهرة، في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وثلاثين وثمان مائة، فكان عدد من يموت بها دون الأربعين، فخرجوا إلىٰ الصحراء، في الرابع من جمادىٰ الأولىٰ، بعد أن نودي فيهم بصيام ثلاثة أيام، كما في الاستسقاء، واجتمعوا ودعوا، وأقاموا ساعة ثم رجعوا، فما انسلخ الشهر حتىٰ صار عدد من يموت في كل يوم بالقاهرة فوق الألف، ثم تزايد.

ووقع الاستفتاء عن ذلك، فأفتىٰ بعض الناس بمشروعية ذلك، واستند فيه إلىٰ العمومات الواردة في الدعاء، واستند آخر إلىٰ أنه وقع في زمن الملك المؤيد وأجدىٰ ذلك، وحضره جمع من العلماء فما أنكروه.

وأفتىٰ جماعة من العلماء بأن ترك ذلك أولىٰ، لما يخشىٰ من الفتنة به، إثباتًا ونفيًا، لأنه إن أجدىٰ لم يأمن خطر الدعوىٰ، وإن لم يُجد لم يأمن سوء الظن بالعلماء والصلحاء والدعاة.

ونحوت هذا النحو في جوابي، وأضفت إلىٰ ذلك: أنه لو كان مشروعًا، ما خفي علىٰ السلف ثم علىٰ فقهاء الأمصار وأتباعهم في الأعصار الماضية. فلم يبلغنا في ذلك خبر ولا أثر عن المحدثين، ولا فرع مسطور عن أحد من الفقهاء.

وألفاظ الدعاء وصفات الداعي، لها خواص وأسرار، يختصّ بها كل حادث بما يليق به، والمعتمد في ذلك الاتّباع، ولا مدخل للقياس في ذلك.

ومثال ذلك أن ما ورد في التخويف بالكسوفين، له هيئة تغاير ما ورد في

التخويف بالجَدْب، وما ورد في النازلة كالقحط والوباء - علىٰ رأي من رأىٰ القنوت في ذلك - يغاير ما ورد في الكسوف والاستسقاء. فالذي يأتي بهذا لهذا، وبهذا لهذا، يلتحق بمن أحدث في أمر الدين ما ليس منه، فيُرَدُّ عليه.

وقد نصَّ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أنه لا قنوت في الاستسقاء، وهو يؤيد ما ذكرته، والله أعلم.

وهذا من الأسباب الحاملة لي علىٰ تبييض هذا الكتاب، بعد أن كنت جمعت منه أكثر الأحاديث وبعض الكلام عليها، في سنة تسع عشرة وثمان مائة، وكنت امتنعت من الخروج في هذه المرة الأخيرة، ولا حضرت صحبة الملك المؤيد في تلك المرة، مع اختصاصي به، لهذا المعنىٰ الذي أشرت إليه. وقد وقع ما تخيلته من الأمرين معًا في المرة الأولىٰ، وفي المرة الثانية، وقيل ما قيل، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأمر بعض من يُنسب إلىٰ الصلاح السلطان الأشرف - مستندًا إلىٰ منام رآه فيما قيل - أن يأمر الخطباء والمؤذنين والمدرِّسين والقُصاص، أن يختموا أدعيتهم بالدعاء بهذه الآية: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].

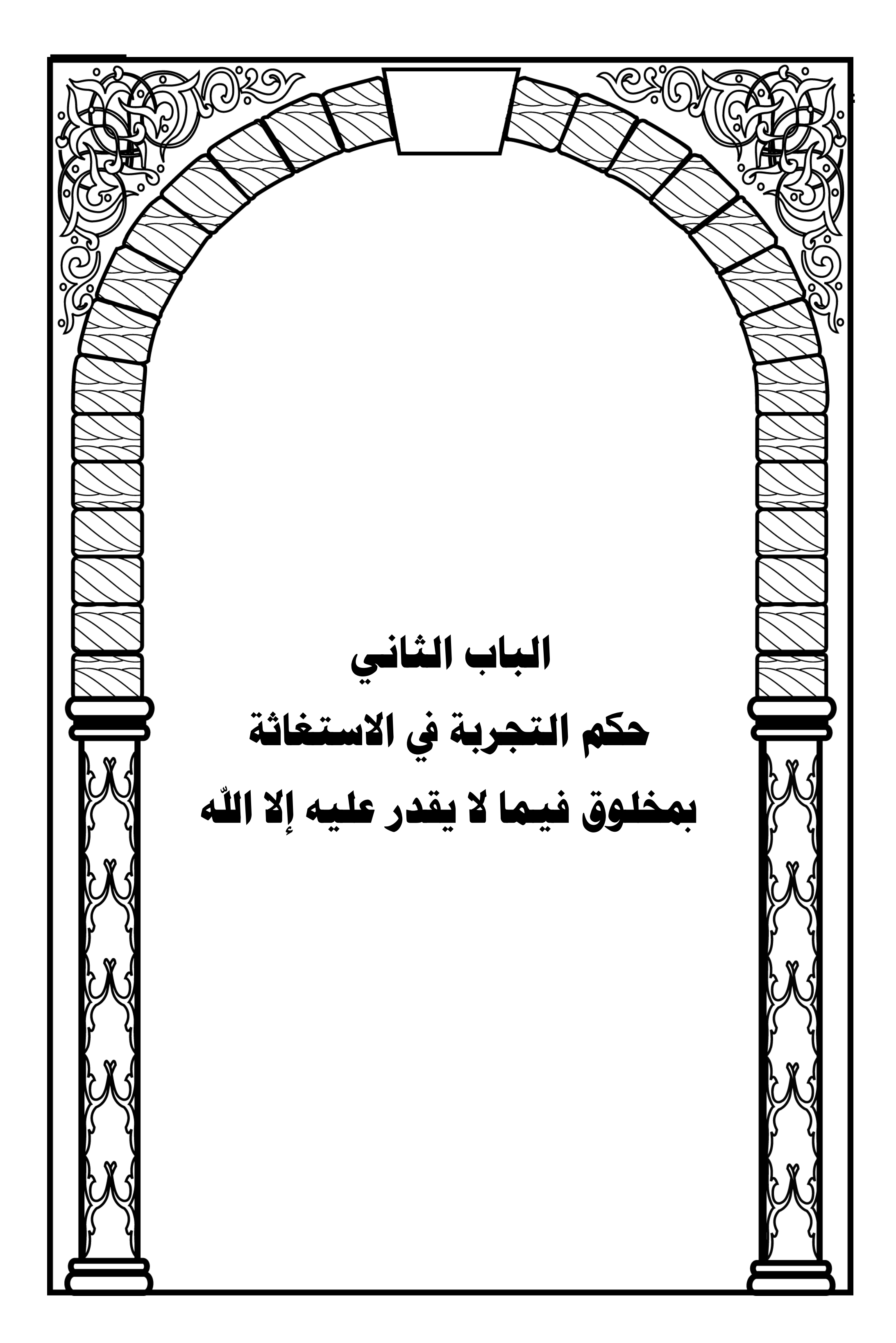
وسئلت عن ذلك، فأجبت بأن الأَوْلىٰ أن يكون بدلها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ومستندي في ذلك أن هذه الآية وقع الإجداء بقولها لآدم؛ فتاب الله تعالىٰ عليه ورحمه. والأخرىٰ حكاها الله تعالىٰ عن الكفار، وعقبها بالرد عليهم. فالآية التي ذكرتها أولىٰ في هذا المقام من هذا الوجه ومن عدة أوجه. ثم وجدت في كتاب ابن أبي الدنيا، أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتب لما وقعت الزلازل في زمانه إلىٰ الأمصار: أن يجتمعوا للصلاة في وقت بعينه، ومن عنده شيء فليتصدق، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤، ١٥]. وقولوا كما قال آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

فهذا الذي بلغنا عن السلف، ولم يبلغنا قط في زمن من الأزمنة - في عهد الصحابة والتابعين - أنهم اجتمعوا لذلك اجتماعهم للاستسقاء، إلا في سنة تسع وأربعين، فاجتمعوا ودعوا ورجعوا، فازداد الأمر شدة، ولم يحصل من قام في ذلك علىٰ المقصود، فاتفق أن الذي وقع بعد خمس وثمانين سنة نظيره كِفَّةً بِكفَّة.

وقصة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن كانت واردة في الزلزلة، فلا يمتنع أن يفعل مثله في الطاعون، والجامع وقوع التخويف بهما».





الباب الثاني

حكم التجربة في الاستغاثة

بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا اللّه

هذا الباب هو مقصود الكتاب بالدرجة الأولى فإنه هو السبب الباعث لتأليفه، ولأنه يتعلق بجناب التوحيد، والإخلال بالتوحيد خسارة الدنيا والآخرة، والعياذ بالله.

وضرورة بيان هذا الأمر فوق كل ضرورة، وذلك أن ذا الحاجة من مكروب أو مبتلىٰ إذا لم يكن قوي الإيمان، بصيرًا بعقيدته، فإن ضرورة الحاجة قد توقعه في ورطات الشرك، لا سيما مع تضاعف الفتنة بالاستغاثة بالقبور من جهة أن بعض الناس جرَّب الاستغاثة بالقبور فقضيت حاجته - هكذا يزعمون -، وصار هذا مثلًا سائرًا بين الجهلة من الناس يقولون: «قبر معروف[1] الترياق المجرّب». وتضاعفت الفتنة من جهة تزيين أحبار السوء والمتعالمين هذا العمل، فقد أضلوا الناس وغشوهم وجوزوا لهم الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر، وسقوهم الشرك في آنية الاستغاثة والتوسل، وحشدوا في سبيل ذلك الموضوعات والأحاديث والآثار الضعيفة.

لذلك وجب علىٰ الناصحين لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، والمشفقين علىٰ الخلق من سوء العاقبة في الدار الآخرة - بيان منافاة الاستغاثة بالموتىٰ لحقيقة التوحيد، ودعوة الناس جميعًا لإنزال حاجاتهم بالله وحده لا شريك له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[الزمر: ٣٨]

---

(١) يريدون معروف الكرخي.

فقول القائل: «جرّبت الاستغاثة بقبور الأولياء والصالحين فقضيت حاجتي» - باطل مردود من مائة وجه، وهي كما يلي:





(١) الحاجات تُطلب ممن يُقدّر المقادير لا ممن يجري عليه القدر

من أوضح وآكد أركان الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره، وأن مقادير الخلق كلهم جميعًا بيد الله وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وكل مؤمن موحّد عاقل سوي الفطرة يعرف أن المخلوق يجري عليه قدر الله، وأن المخلوق مهما تناهىٰ صلاحه فإنه يجري عليه قدر الله وأمره، فالواجب أن ننزل حاجاتنا بمن بيده مقاليد ومقادير كل شيء وحده لا شريك له، فالإيمان بالقدر يوجب توحيد الله. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٧٩٥هـ)[١]: «فإنه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر أو نفع أو ضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم جميعًا علىٰ خلاف المقدور غير مفيد شيئًا البتة - علم حينئذ أن الله تعالىٰ وحده هو الضار والنافع، والمعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عَزَّوَجَلَّ وإفراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال، وإفراده أيضًا بالعبادة والطاعة؛ لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا».

❋ ❋ ❋

---

(١) نور الاقتباس ص (٧٨، ٧٩).

(٢) سر الكتب الإلهية علمه الموحدون وجهله القبوريون

هؤلاء القبوريون الذين يدعون الناس إذا نزلت بهم الخطوب أن ينزلوا حاجاتهم بمخلوقين موتىٰ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم - قد جهلوا حقيقة الدين وسر الكتب الإلهية جميعًا، وعلمه أهل التوحيد الذين نصحوا الناس أن يسألوا الله وحده كشف الضر وتحويله.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥هـ)(١): «وقوله ﷺ: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**». لما أمر ﷺ بحفظ الله والتعرف إليه في الرخاء، وذلك هو العبادة حقيقة، ثم أرشد إلىٰ سؤال الله وحده ودعائه: «**الدعاء هو العبادة**»، كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

خرّجه أهل السنن الأربعة، أرشد بعد ذلك إلىٰ الاستعانة بالله وحده، وهذا منتزع من قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهي كلمة عظيمة جامعة يقال: إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها».

❊ ❊ ❊

---

(١) نور الاقتباس، ص (٧٢).



(٣) إخضاع التوحيد لتجارب الناس، والالتفات عن حقائق ما بعث الله به رسله - تضييع للدين، وإبطال للرسالات

فالله عَزَّوَجَلَّ ما أرسل الرسل وأنزل الكتب إلا لبيان حق الله الخالص: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وحقائق التوحيد ووجوب إفراد العبادة لله وحده، وتجريده بالرغبة والرهبة، وطلب كشف الضر وجلب المنفعة - أوضح من الشمس في رابعة النهار، علّمه النبي ﷺ الصبيان فضلًا عن الكبار، فالعدول عن هذا البيان الواضح إلىٰ تجارب الناس عدول عن واضح المحجة والهدىٰ إلىٰ محض الهوىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو غلام: «يا غلام - أو: يا غُليم -، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلىٰ. فقال: **احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعًا**

أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر علىٰ ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»[1].



(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (ص ٥٧٢ - رقم ٢٥١٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقواه ابن منده، وحسّن إسناده الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نور الاقتباس، ص (٣١).



(٤) تجربة الموحدين أوضح للعيان

تجارب الموحدين واضحة للعيان، فقد نزلت أنواع الكرب بالأئمة الموحدين، فأنزلوا حاجاتهم بالله ولاذوا به، فكشف الله ضرهم ورفع بلواهم، فهذا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ نزل به كرب عظيم فأنزل حاجته بالله فكشف الله ضره، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفاقة إلىٰ ربه، ووجود طعم المحبة في التملُّق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره. ومتىٰ وجد المبتلىٰ هذا كشفت عنه بلواه، وقد جُرِّب أنه من قالها سبع مرات، ولا سيما مع هذه المعرفة، كشف الله ضره».

وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ برهن لقومه عجز من دون الله علىٰ جلب المنفعة أو دفع المضرة، فإنه عمد إلىٰ أصنام المشركين في يوم عيدهم، فكسرها، فلما رجع المشركون من عيدهم ووجدوا الأصنام التي كانت عظيمة في نفوسهم قد كُسرت: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ

---

(١) الفوائد، ص (٢٨٤).

يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٩ – ٦٧].

وهكذا نقول للقبوريين في زماننا هذا الذين يقولون: «لو حسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه»، قد حسّنتم ظنكم بما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم، وأسأتم ظنكم بالله، ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٧].

فأهل البدع زعموا أن التجربة تدل علىٰ أن الموتىٰ والأولياء الصالحين يغيثون البشر فيما يسألونهم مما لا يقدر عليه إلا الله من طلب الرزق، والذرية، وشفاء الأسقام، والنصر علىٰ الأعداء، وغيره، ونحن نقول التجربة أثبتت عكس ذلك تمامًا، وأن الموتىٰ لا يجلبون لأنفسهم نفعًا، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرًّا، فضلًا عن أن يفعلوا ذلك لغيرهم من البشر، وهذا كله من أوهام الجاهلية، فإنهم كانوا يستعيذون بالجن ليدفعوا عن أنفسهم الضر، فما قدروا علىٰ ذلك، بل زادوهم رهقًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «الاستغاثة هي طلب كشف الشدة، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة أو دعا الجن، فقد دعا من لا يغيثه، فلا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن: ٦]، كان أحدهم إذا نزل بوادٍ يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه. فقالت الجن: الإنس يستعيذوننا. فزادوهم رهقًا».

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٤٨، ٤٤٩).

ومن التجارب التي يعرفها المسلمون لما نزل التتر بديار المسلمين فزع الجهال إلىٰ الموتىٰ فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[(١)]: «إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لمّا قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتىٰ عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر   لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر   ينجيكم من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا، كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحُد، فإنه كان قد قضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، ولحكمة كانت لله عَزَّوَجَلَّ في ذلك.

ولهذا كان أهل المعرفة بالدِّين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي، الذي أمر الله ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة، لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالًا شرعيًّا أُجِروا علىٰ نياتهم.

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدِّين لله والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل، كما قال تعالىٰ يوم بدر: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٩].

ورُوي أن رسول الله ﷺ كان يوم بدر يقول: «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث». وفي لفظ: «**أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين،**

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٦٣١ - ٦٣٣).

ولا إلىٰ أحد من خلقك». فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم علىٰ عدوهم نصرًا عزيزًا، لم يتقدم نظيره، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلًا، لما صح من تحقيق توحيده، وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

وهذه مراقد الموتىٰ في النجف وكربلاء تعرضت لاحتلال أمريكي، وقَصف من عملاء إيران، فلم تدفع عن نفسها شيئًا، فضلًا عن أن تدفع عن غيرها سوءًا أو تجلب لهم منفعة.



(٥) وسائل محرمة تُسقط حقيقة الدين

قاعدة الشريعة واضحة في حماية جناب التوحيد وسد كل وسيلة تفضي إلىٰ المساس بمقصود الرسالة وأصلها، وهو تحقيق التوحيد. فمن تأمل الشريعة في كل مواردها وجد أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أحاط التوحيد بسياج منيع، وجعله في حصن حصين، حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ كل وسيلة تفضي إلىٰ الشرك، فما يقوم به البعض من الاستغاثة بغير الله لحصول غرضهم الدنيوي من شفاء الأسقام، وطلب الذرية، وحصول الرزق - هو مضاد للشريعة في كل مواردها، وهو تجاوز واختراق لحصن التوحيد، وتدمير لسياجه، وهو داخل في شرك المقاصد والوسائل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فنهىٰ رسول الله ﷺ عن الصلاة إلىٰ القبور، وهؤلاء يصلون عندها، ونهىٰ عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد، مضاهاةً لبيوت الله - تعالىٰ -.

ونهىٰ عن إيقاد السُّرُج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف علىٰ إيقاد القناديل عليها.

ونهىٰ أن تُتَّخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد وأكثر.

وأمر بتسويتها كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مُشْرفًا إلَّا سوَّيْتَه».

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٥، ٣٦٦).

وفي صحيحه أيضًا عن ثمامة بن شُفيٍّ، قال: كُنّا مع فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأرض الروم - برودس - فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوّي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهىٰ عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنىٰ عليه».

إلىٰ أن قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور، والمتخذين عليها أعيادًا، الموقدين عليها السُّرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب - مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادُّون لما جاء به»[(١)].

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبينًا ما آل إليه انحراف القبوريين في تضييع حمىٰ جناب التوحيد:** «اعتقاد المشركين بها أن يكشف بها البلاء، وينصر علىٰ الأعداء، ويستنزل غيث السماء، ويفرج الكرب، وتقضىٰ الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، إلىٰ غير ذلك»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٣)]: «فإذا كان ﷺ نهىٰ عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصًا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلىٰ

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٠٥).

نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وُجد ما هو نوع من الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالىٰ؟ بل، لو أقسم علىٰ الله ببعض خلقه من الأنبياء والملائكة وغيرهم - لنهىٰ عن ذلك، ولو لم يكن عند قبره».



(٦) حصول الغرض ولو بالشرك منهج المسيح الدجال

الشرك حرَّمه الله عَزَّوَجَلَّ أشد تحريم، وهو الذنب الذي لا يغفره الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فمن رخّص بالشرك وسؤال المخلوقين الموتىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء الأسقام، والنصر علىٰ الأعداء، وطلب الولد والذرية - فقد اتّبع منهج المسيح الدّجال، فإنه يُؤتي الناس ما يسألونه وهو دجّال كافر، فإنه يقول للسماء: أمطري. فتمطر، ويقول للأرض: أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها. فيؤمن به ضعفاء العقول ويعتقدونه ربًّا لمجرد أنه أجاب حاجاتهم، أما الموحّدون فيقولون له: يا كافر. ولا يشتبه علينا هذا الدّجال بربنا أبدًا، ويكفيك من عجزه أنه لا يُولد له مع أنه بشر دجّال، أما ربنا فلكمال قيوميته وصمديته لم يلد ولم يُولد. وقد حذّر النبي ﷺ من تقرير الأحكام بمنهج الدّجال، وهو ركوب الوسائل المكروهة والمحرمة لمجرد حصول الأغراض. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)(١): «إن كثيرًا من الناس ينذرون نذرًا لحاجة يطلبها، فيقضي الله حاجته، فيظن أن النذر كان السبب، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن النذر، وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**».

فمن ظن أن حاجته إنما قضيت بالنذر، فقد كذب علىٰ الله ورسوله، والناس

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (١/ ٢٠٤، ٢٠٥).

مأمورون بطاعة الله ورسوله، واتباع دينه وسبيله، واقتضاء هداه، ودليله، وعليهم أن يشكروا الله علىٰ ما عظمت به النعمة، حيث بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**».

وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشىٰ علىٰ الماء، لم يُتّبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله، ومن رأىٰ من رجل مكاشفة أو تأثيرًا فاتّبعه في خلاف الكتاب والسُّنَّة - كان من جنس أتباع الدّجال، فإن الدّجال يقول للسماء: أمطري. فتمطر، ويقول للأرض: أنبتي. فتنبت، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك. فتخرج كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلًا ثم يأمره أن يقوم فيقوم، وهو مع هذا كافر ملعون عدو لله، قال النبي ﷺ: «**ما من نبي إلا قد أنذر أمته الدّجال، وأنا أنذركموه إنه أعور، وإن الله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر - ك ف ر - يقرؤه كل مؤمن، قارئ وغير قارئ، واعلموا أن أحدًا منكم لن يرىٰ ربه حتىٰ يموت**»».



(٧) توافق مقادير

ما يحصل في الحقيقة هو أن وافق قضاء الله وقدره استجابة دعاء القبوريين عند استغاثتهم بالمخلوق الميت، وهذا لا يدل قطعًا علىٰ أن إجابة دعائهم بسبب شركهم، وهذا نظير ما حصل يوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، فوافق قضاء الله وقدره أن كُسفت الشمس في ذلك اليوم، فتحدث الناس أن الشمس كُسفت لموت إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال النبي ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته**»[١].

قال شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ولذلك كان أصحاب الأولياء إذا نزلت بهم شدة يسألون الأولياء دون الله تعالىٰ، فيقعون في الشرك الأكبر من حيث لا يعلمون أو من حيث يعلمون، ثم قد يفتنون، فيحصل لهم ما يريدون عند دعاء الأولياء لا بهم؛ لأننا نعلم أن هؤلاء الأولياء لا يستجيبون لهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]».

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس (ص ١٦٧ - رقم ١٠٤١)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (ص ٣٦١ - رقم ٢٠٨٩).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد، ص (٣٩٧).

(٨) استدراج من الشيطان

الشيطان عدو الإنسان، وحربه له قائمة إلىٰ قيام الساعة، ومن أعظم مقاصد الشيطان في حربه لبني آدم إخراجهم من الجنة وتحريم دخولها عليهم، وهذا لا يكون إلا بالشرك بالله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فهذا أساس حرب الشيطان لبني آدم، فلا تغفل عن أن هذه الحرب ما زالت قائمة، بل وهي ضروس، لا هوادة فيها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾ [فاطر: ٦].

قال العلامة حسين النعمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٨٧هـ)**(١): «إن الشيطان الذي أضل السابقين، وأوقعهم في الشرك الوبيل: لم يسالمه، ولم تضع أوزاره بين أمة محمد ﷺ».

فالشيطان يستزل البشر بما يفسد عليهم دينهم بما يحققه لهم من قضاء بعض حوائجهم الدنيوية بالوسائل المحرمة والشركية، قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥١هـ)**(٢): «يعنون استمتاع كل نوع بالنوع

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، ص (٢٢٩).

(٢) بدائع التفسير (٢/ ١٨١، ١٨٢).

الآخر، فاستمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به: من الكفر والفسوق والعصيان، فإن هذا أكثر أغراض الجن من الإنس، فإذا أطاعوهم فيه فقد أعطوهم مناهم، واستمتاع الإنس بالجن: أنهم أعانوهم علىٰ معصية الله تعالىٰ، والشرك به بكل ما يقدرون عليه: من التحسين والتزيين والدعاء، وقضاء كثير من حوائجهم، واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها، فأطاعهم الإنس فيما يرضيهم: من الشرك والفواحش والفجور، وأطاعتهم الجن فيما يرضيهم: من التأثيرات والإخبار ببعض المغيبات، فتمتع كل من الفريقين بالآخر».

فهؤلاء القبوريون إذا جاءوا إلىٰ الموتىٰ واستغاثوا بهم من دون الله تمثّلت لهم الشياطين في صور الموتىٰ، وقضوا لهم بعض حوائجهم؛ ليستزلوا بني آدم من التوحيد إلىٰ الشرك، وليزينوا لهم الاستغاثة بالموتىٰ، فيألفوا الشرك وتقضىٰ لهم بعض حوائجهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «وأما ما يروىٰ عن بعضهم أنه قال: «قبر معروف الترياق المجرب». وقال بعضهم: «فلان يدعىٰ عند قبره». وقول بعض الشيوخ لمريده: «إذا كانت لك حاجة إلىٰ الله، فاستغث بي». أو قال: «استغث عند قبري». ونحو ذلك، فإن هذا وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم، وكثير من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأىٰ صورته، وربما قضىٰ بعض حاجته فيظن أنه الشيخ نفسه، أو أنه ملك تصور علىٰ صورته، أو أن هذا من كراماته، فيزداد به شركًا ومغالاة، ولا يعلم أن هذا من جنس ما تفعله الشياطين

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٣٣، ٣٣٤).

بعبَّاد الأوثان، حيث تتراءىٰ أحيانًا لمن تعبدها، وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وتقضي لهم بعض الطلبات، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة».



(٩) النهي عن شد الرحال للقبور

تحذير من الغلو في القبور

النبي ﷺ نهىٰ عن شد الرحال للقبور، وهذا متضمن في دلالة قوله ﷺ[(١)]: «**لا تُشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ**». فإذا كان شد الرحال إلىٰ المساجد غير الثلاثة لا يجوز مع أنها تُقصد للصلاة لله - فقصد القبور للاستغاثة بالموتىٰ لا يجوز من قريب، ولا بشد الرحال من باب أولىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٢)]: «وهذا النهي يعم السفر إلىٰ المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد السفر إلىٰ عينه للتقرّب، بدليل أن بصرة بن أبي بصرة الغفاري لما رأىٰ أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ راجعًا من الطور الذي كلم الله عليه موسىٰ - قال: لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأته؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد**». فقد فهم الصحابي الذي روىٰ الحديث، أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم، وأنه لا يجوز السفر إليها، كما لا يجوز السفر إلىٰ مسجد غير المساجد الثلاثة، وأيضًا فإذا كان السفر إلىٰ بيت من بيوت الله - غير الثلاثة - لا يجوز، مع أن قصده لأهل مصر يجب تارة، ويستحب أخرىٰ، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لا يحصىٰ - فالسفر إلىٰ بيوت

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (ص ١٩٠ - رقم ١١٨٩)، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة (ص ٥٨٤ - رقم ٣٣٨٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٨٢، ١٨٣).

عباده أولىٰ أن لا يجوز».

فشد الرحال إلىٰ القبور ليس من دين الأنبياء، ولا من هدي الصحابة النجباء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[1]: «ولهذا لم يكن الصحابة يسافرون إلىٰ «قبر الخليل»، ولا غيره من قبور الصالحين، ولا سافروا إلىٰ زيارة «جبل طور سيناء»، وهو «البقعة المباركة»، و«الوادي المقدّس»، الذي ذكره الله في كتابه، وكلَّم عليه كليمه موسىٰ، بل ولا كان النبي ﷺ وأصحابه في حياته وبعد مماته يزورون «جبل حراء»، الذي نزل الوحي علىٰ رسول الله ﷺ فيه، ولم يكونوا يزورون بمكة غير المشاعر - كالمسجد الحرام، ومنًىٰ، ومزدلفة، وعرفة - في الحج، وكذلك لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ يقصد الدعاء عند قبر أحد من الأنبياء، لا قبر نبينا ﷺ ولا قبر الخليل، ولا غيرهما».

ولا علاقة بشد الرحال إلىٰ مسجد النبي ﷺ بقبره، فلا يُقال شد الرحال إلىٰ قبر النبي ﷺ، لأن قبر النبي ﷺ في عهد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يكن داخل المسجد، بل كان مصونًا في حجرة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا محجوبًا عن الخلق أجمعين، قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٤هـ)[2]: «إن قبره ﷺ حين دُفن لم يُمكّن أحد من الدخول إليه لا لزيارة، ولا لصلاة، ولا لدعاء، ولا غير ذلك، ولكن كانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فيه؛ لأنه بيتها، وكانت ناحية عن القبور، لأن القبور في مقدم الحجرة، وكانت هي في مؤخرة الحجرة، ولم يكن الصحابة يدخلون إلىٰ هناك، وكانت الحجرة علىٰ عهد الصحابة خارجة عن المسجد متصلة به، وإنما دخلت فيه

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١١٠).

(٢) الصارم المنكي، ص (٣٠٣، ٣٠٤).

في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد موت العبادلة: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل بعد موت جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين كانوا بالمدينة، ولم يكن الصحابة يدخلون إلىٰ عند القبر، ولا يقفون عنده خارجًا، مع أنهم يدخلون إلىٰ مسجده ليلًا ونهارًا».



(١٠) الصلاة على النبي ﷺ لا خصوصية لقبره بها

فالبعض يقصد قبر النبي ﷺ للصلاة والسلام عليه، ثم إذا صار عند القبر وقعت منه المخالفات وربما الشركيات، فالصلاة علىٰ النبي ﷺ لا خصوصية لها بقبره.

قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٤٤هـ)**[(١)]: «وقد قال ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**». وقال: «**لا تُشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس**». وكانوا يقدمون من الأسفار للاجتماع بالخلفاء الراشدين، وغير ذلك، فيُصلون في مسجده، ويُسلمون عليه في الصلاة، وعند دخول المسجد والخروج منه، ولا يأتون القبر؛ إذ كان عندهم مما لم يأمرهم به ولم يسنه لهم، وإنما أمرهم وسن لهم الصلاة والسلام عليه في الصلاة، وعند دخولهم المساجد وغير ذلك، ولكن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان يأتيه فيسلم عليه وعلىٰ صاحبيه عند قدومه من السفر، وقد يكون فعله غير ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا.

فهكذا رأي من رأىٰ من العلماء هذا جائزًا؛ اقتداءً بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان يُسلم ثم ينصرف، ولا يقف يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت. ثم ينصرف، ولم يكن جمهور الصحابة يفعلون كما فعل ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بل كان الخلفاء وغيرهم يسافرون

---

(١) الصارم المنكي، ص (٣٠٤، ٣٠٥).

للحج وغيره ويرجعون ولا يفعلون ذلك؛ إذ لم يكن هذا سُنَّة سَنَّها لهم[1]، وكذلك أزواجه كن علىٰ عهد الخلفاء وبعدهم يسافرن للحج، ثم ترجع كل واحدة إلىٰ بيتها كما وصاهن بذلك، وكانت أمداد اليمن الذين قال الله فيهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، علىٰ عهد أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - يأتون أفواجًا من اليمن للجهاد في سبيل الله، ويصلون خلف أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في مسجده، ولا يدخل أحد منهم إلىٰ داخل الحجرة، ولا يقف في المسجد خارجًا منها لا لدعاء ولا صلاة ولا سلام، ولا غير ذلك، وكانوا عالمين بسُنَّته كما علَّمهم الصحابة والتابعون، وأن حقوقه ملازمة لحقوق الله، وأن جميع ما أمر الله به وأحبه من حقوقه وحقوق رسوله - فإن صاحبها يؤمر بها في جميع المواضع والبقاع، فليست الصلاة والسلام عليه عند قبره بأوكد من ذلك في غير ذلك المكان، بل صاحبها مأمور بها حيث كان إما مطلقًا، وإما عند الأسباب المؤكدة لها كالصلاة والدعاء والأذان، ولم يكن شيء من حقوقه ولا شيء من العبادات هو عند قبره أفضل منه في غير تلك البقعة، بل نفس مسجده له فضيلة لكونه مسجده.

ومن اعتقد أنه قبل القبر لم يكن له فضيلة؛ إذ كان النبي ﷺ يصلي فيه والمهاجرون والأنصار، وإنما حدثت له الفضيلة في خلافة الوليد بن عبد الملك لما أدخل الحجرة في مسجده - فهذا لا يقوله إلا جاهل مفرط في الجهل، أو كافر، فهو مكذب لما جاء به مستحق للقتل، وكان الصحابة يدعون في مسجده كما كانوا يدعون في حياته لم يتجدد لهم شريعة غير الشريعة التي علمهم إيّاها في حياته،

---

(١) لا يمكن لأحد أن يقيم علىٰ ذلك حديثًا صحيحًا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ.

وهو لم يأمرهم إذا كان لأحدهم حاجة أن يذهب إلىٰ قبر نبي، أو صالح، فيصلي عنده، ويدعوه، أو يدعو بلا صلاة، أو يسأله حوائجه، أو يسأله أن يسأل ربه.

فقد علم الصحابة أن رسول الله ﷺ لم يأمرهم بشيء من ذلك، ولا أمرهم أن يخصوا قبره، أو حجرته إلىٰ جوانب حجرته لا بصلاة ولا دعاء، لا له ولا لأنفسهم، بل قد نهاهم أن يتخذوا بيته عيدًا، فلم يقل لهم كما قال بعض الشيوخ الجهال لأصحابه: إذا كان لكم حاجة فتعالوا إلىٰ قبري. بل نهاهم عمّا هو أبلغ من ذلك أن يتخذوا قبره، أو قبر غيره مسجدًا يصلون فيه لله؛ ليسد ذريعة الشرك. فصلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليمًا، وجزاه عنا أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن أمته».



(١١) الاستغاثة بالموتى تضييع لأصل الخير لما هو دونه

فكل عاقل لا يُضيع أصل الخير وهو التوحيد لما هو دونه كطلب الرزق، وشفاء الأسقام، وطلب الذرية، فالتوحيد وتحقيقه هو مفتاح الجنة جماع الخير كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وما المال والذرية والعافية إلا لأداء حق الله في ذلك من توحيده وطاعته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٧٤هـ)**[1]: «التوحيد أصل كل خير وجماعه، والشرك أصل كل شر وجماعه، والموجبتان: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن مات يُشرك بالله شيئًا دخل النار». ولهذا لمّا جمع سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بين ما أمر به وبين ما حرّمه في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ثم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وأصل الكفر والشرك مخالفة الرسول ﷺ، وهؤلاء الجُهّال فيهم من الشرك ومخالفة الرسول ما لا خفاء به علىٰ المؤمن العليم، وهم فيه درجات، منهم من يأتي بالشرك البيّن، والإنكار البيّن لما جاء به الرسول ﷺ، فهذا يُستتاب باتفاق

(١) ملخص الاستغاثة (١/ ١٦٠)، مطبوع مع الرد علىٰ البكري، تحقيق د: عبد الله السهلي.

الأئمة، ومنهم من هو مخطئ في دقيق ذلك، ومنهم من هو بين هذا وهذا، إما فاسق وإما عاصٍ».



(١٢) وسائل الشرك محرمة

النهي عن الشرك والأمر بتوحيد الله هو مقصود الرسالة، وزبدة الشريعة، والشرع حكيم لا يُحرّم الشرك ويشرع وسائله، بل يُحرّم الشرك ووسائله، حتىٰ يكون المسلم في صيانة وحماية لعقيدته وتوحيده ودينه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «فإن استقراء الشريعة في مواردها ومصادرها دال علىٰ أن ما أفضىٰ إلىٰ الكفر غالبًا حرم، وما أفضىٰ إليه علىٰ وجه خفي حرم، وما أفضىٰ إليه في الجملة ولا حاجة تدعو إليه، حرم، كما قد تكلمنا علىٰ قاعدة الذرائع، في غير هذا الكتاب».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ) أيضًا**[(٢)]: «فهذه المفسدة - التي هي مفسدة الشرك، كبيره وصغيره - هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة، ونهىٰ عن الصلاة في أوقات معينة؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها، فينهىٰ المسلم عن الصلاة حينئذٍ - وإن لم يقصد ذلك - سدًّا للذريعة.

فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين، متبركًا بالصلاة في تلك البقعة - فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٤١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢، ١٩٣).

دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر - أيِّ قبر كان - لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلًا، بل مزية شر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ) أيضًا**[1]: «فإن من يشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد نبوته أو صلاحه، أعظم من أن يُشرك بخشبة أو حجر علىٰ تمثاله، ولهذا نجد أقوامًا كثيرين يتضرعون عندها، ويخشعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد، بل ولا في السَّحَر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد[2] التي تشد إليها الرحال».



---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢).

(٢) **المساجد الثلاثة**: المسجد الحرام، المسجد النبوي، المسجد الأقصىٰ.

(١٣) الاستغاثة بسيد الصالحين حال حياته ممنوعة، فغيره من باب أولى

لا يختلف اثنان أن النبي ﷺ سيد المتقين، وخيرتهم وأفضلهم، وهو سيد ولد آدم ولا فخر، فإذا منع هو - صلوات الله وسلامه عليه - من الاستغاثة به، وهو سيد ولد آدم، فمن دونه من الصالحين والمتقين لا يستغاث بهم من باب أولىٰ.

فقد روىٰ الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله**»[(١)].

فهذا الحديث معناه اعتضد بنصوص القرآن فدل علىٰ حجيته، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٢)]: «فهذا إنما أراد به النبي ﷺ المعنىٰ الثاني، وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله».

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٣)]: «وحقيقة قوله: «**لا يستغاث بي**»، وإن كان مراده الاستغاثة الكلية، كما يُقال: لا يُستغاث بي، ولا يتوكل عليَّ، ولا أُدعىٰ، ولا أُسأل، ونحو ذلك - فمراده النهي عن الطلب الذي لا يفعله إلا الله، كما نهىٰ عن السجود له، وكما نهىٰ أن يقال: ما شاء الله وشاء

---

(١) رواه الطبراني، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩).

(٢) الرد علىٰ البكري (١/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(٣) الرد علىٰ البكري (١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

محمد. وقال لمن قال: ما شاء الله وشاء محمد، ما روي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت». فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاء الله وحده**». رواه النسائي وابن ماجه، ورواه الإمام أحمد، ولفظه: «**أجعلتني لله عدلًا؟! بل ما شاء الله وحده**»».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «وإذا تكلمنا فيما يستحقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من التوحيد - بيّنا أن الأنبياء وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من خصائص، فلا يُشرك بهم، ولا يتوكل عليهم، ولا يستغاث بهم كما يستغاث بالله، ولا يقسم علىٰ الله بهم، ولا يتوسل بذواتهم.

وإنما يتوسل بالإيمان بهم، وبمحبتهم وطاعتهم، وموالاتهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ومعاداة من عاداهم، وطاعتهم فيما أمروا، وتصديقهم فيما أخبروا، وتحليل ما حللوه، وتحريم ما حرموه.

والتوسل بذلك على وجهين:

أحدهما: أن يتوسل بذلك إلىٰ إجابة الدعاء وإعطاء السؤال، كحديث الثلاثة الذين آووا إلىٰ الغار، فإنهم توسلوا بأعمالهم الصالحة؛ ليجيب دعاءهم، ويفرج كربتهم، وقد تقدم بيان ذلك.

والثاني: التوسل بذلك إلىٰ حصول ثواب الله وجنته ورضوانه، فإن الأعمال الصالحة التي أمر بها الرسول ﷺ هي الوسيلة التامة إلىٰ سعادة الدنيا والآخرة».

❁ ❁ ❁

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣٠٠، ٣٠١).

(١٤) الله هو القيوم وليس المخلوق

كل عاقل ذو فطرة سوية يعرف أن الله هو القيوم، فهو قائم بنفسه وذلك لكماله، فهو الرب الغني عن العالمين، وأنه مقيم لغيره، فقيام كل مخلوق بالله وحده لا شريك له، لذلك الله لا تأخذه سنة ولا نوم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لأنه سبحانه تعالىٰ عن ذلك لو أخذته سنة - وهي مقدمات النوم - أو نام لفسد انتظام السموات والأرضين، ولهلك الخلق أجمعون، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فكل من يؤمن أن الله هو القيوم ولا ينسيه الشيطان هذه الحقيقة - لا يمكن أن يطلب من مخلوق ميت ما لا يقدر عليه إلا الله من الرزق، والنصر، وكفاية الشرور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[(١)]: «وهذا القرآن ينطق عن جميع الأنبياء والمرسلين - وهم سادات المقربين - بأنهم كانوا يفرّقون بين المعروف والمنكر، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، ويأمرون بعبادة الله وحده، وينهون عن عبادة ما سواه، ولو لم يشهدوا إلا القيومية التي تُرد فيها الأفعال إلىٰ خالقها، لم يَأمروا ولم يَنهوا، ولم يَمدحوا ويذموا، فإن العبد لا يأمر الله ولا ينهاه ولا يذمه ولا يعاقبه».

❊ ❊ ❊

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٢٣٨).

(١٥) مخالفة لإجماع المسلمين

طريق المسلم اتباع المرسلين وموافقة إجماع السابقين الأولين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومنهج السابقين هو التوكل علىٰ الله وحده والاستعانة والاستغاثة به وحده لا بالأموات والغائبين والعاجزين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «سؤال الميت والغائب نبيًّا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين.

وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين المسلمين، فإن أحدًا منهم ما كان يقول - إذا نزلت به تِرة أو عرضت له حاجة - لميت: يا سيدي فلان أنا في حسبك. أو: اقض حاجتي!!

وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال، ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون، ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين، بل ولا أقسموا بمخلوق علىٰ الله أصلًا، ولا كانوا يقصدون الدعاء

---

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٣١، ٣٣٢).

عند قبور الأنبياء، ولا الصلاة عندها».

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «كيف يَشرع دينًا لم يُنقل عن أحد من السلف، ويأمر الأمة بأن يطلبوا الدعاء والشفاعة والاستغفار بعد موت الأنبياء والصالحين منهم عند قبورهم، وهو أمر لم يفعله أحد من سلف الأمة؟!».

وقال أيضًا[2]: «فهذا مما عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر، وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته.

وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئًا من ذلك، بل أهل الكتاب ليس عندهم عن الأنبياء نقل بذلك، كما أن المسلمين ليس عندهم عن نبيهم نقل بذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحاب نبيهم والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحدٍ أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له، أو يدعو لأمته، أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدِّين.

وكان أصحابه يُبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجدب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلىٰ قبر الرسول ﷺ، ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك جدب الزمان. أو: قوة العدو. أو: كثرة الذنوب. ولا يقول: سل الله لنا - أو: لأمتك - أن يرزقهم. أو: ينصرهم. أو: يغفر لهم.

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٢٠٤).

(٢) التوسل والوسيلة، ص (٧١، ٧٢).

بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة، وهي ضلالة باتفاق المسلمين».



(١٦) الأسباب الكونية لا يجوز تعاطيها إذا كانت محرمة

فلا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يركب كل سبيل، وأن يأتي كل طريق يحقق له غرضه، ويقضي له حاجته ولو كان حرامًا، فلا يجوز أن نستغيث بغير الله؛ ليحصل مرادنا من طلب الرزق والذرية ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «فإنه ليس كل ما كان سببًا كونيًّا يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سببًا لأخذ ماله، وكلاهما محرم، والدخول في دين النصارىٰ قد يكون سببًا لمال يعطونه، وهو محرم، وشهادة الزور قد تكون سببًا لما يؤخذ من المشهود له، وهو حرام، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سببًا لنيل مطالب، وهو محرم، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب، وهو محرم، وكذلك الشرك مثل دعوة الكواكب والشياطين، وعبادة البشر - قد يكون سببًا لبعض المطالب وهو محرم، فإن الله - تعالىٰ - حرَّم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة علىٰ مصلحته، وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحيانًا، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقًا وأمرًا. فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية علىٰ أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتًا أو غائبًا، أو يستغيثوا به، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره، وهم لا يقدرون علىٰ ذلك».

---

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٣٠، ٣٣١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعًا مأمورًا به، فقد كان رسول الله ﷺ يُسأل في حياته المسألة فيعطيها لا يرد سائلًا، وتكون المسألة محرمة في حق السائل: حتىٰ قال: «**إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارًا**». قالوا: يا رسول الله، فلم تعطيهم؟ قال: «**يأبون إلا أن يسألوني، ويأبىٰ الله لي البخل**»».



(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٩٠).

(١٧) قصد القبور لطلب قضاء الحوائج هو من اتخاذ القبور أعيادًا

قصد المبتدعين قبور الصالحين لطلب قضاء حوائجهم من سؤال الذرية، وطلب الرزق، وشفاء الأسقام، وطلب النصر - كله من اتخاذ قبور الموتىٰ أعيادًا، وهو من أسباب اتخاذها أوثانًا تُعبد من دون الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «إن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر علىٰ وجه الأرض، وقد نهىٰ عن اتخاذه عيدًا، فقبر غيره أولىٰ بالنهي كائنًا من كان».

وعن علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدّثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**»[٢]. فانظر إلىٰ فقه آل البيت المتقدمين، وهم بلا ريب أعظم الناس حبًّا وتوقيرًا لجدهم نبي الله ﷺ، ومع هذا زجروا الناس عن الدعاء عند قبره، وبيّنوا أن لا خصوصية عند قبر النبي ﷺ في إجابة الدعاء.

❁ ❁ ❁

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٢).

(٢) رواه أبو يعلىٰ (١/ ٣٦١ - رقم ٢٠٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٣٧٥)، وصححه الضياء المقدسي في المختارة، والألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١٨) الاستغاثة بالموتى هي من اتخاذهم آلهة مع الله

فالله عَزَّوَجَلَّ رب، والخلق كلهم مربوبون لله، والرب له حقه الخالص في عبادته وحده، وفي توحيده في أفعاله كالإحياء والإماتة والرزق والنصر، فسؤال المخلوقين ما لا يقدر عليه إلا الله كالرزق، وشفاء الأسقام، وطلب الذرية - هو تصيير المربوب ربًّا، والعياذ بالله.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٧٤هـ)**[١]: «أي: ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحُكْم والنبوة أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله. أي: مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولىٰ والأحرىٰ».

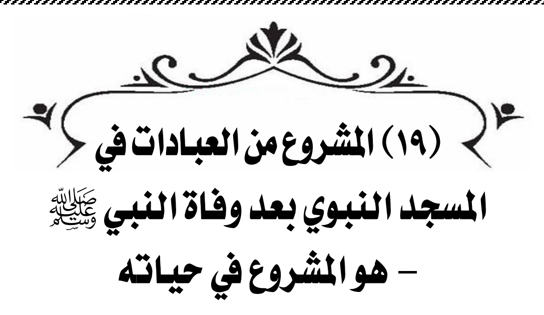
وقد طلب الخليفة عبيد الله المهدي شيخ المالكية في زمانه أبا عثمان سعيد بن محمد الحدَّاد المغربي، وقال له: فما للناس لا يكونون عبيدنا؟ فقال أبو عثمان الحدَّاد: أعز الله السيد، لم يرد ولاية الرِّق، بل ولاية الدِّين، قال: هل من شاهد؟

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٦).

قلت: قال الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]. فما لم يكن لنبي الله لم يكن لغيره[١].



(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠٧).



(١٩) المشروع من العبادات في المسجد النبوي بعد وفاة النبي ﷺ - هو المشروع في حياته

من المعلوم أن الله أتم النعمة وأكمل الدين قبل قبض النبي ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن مشروعًا من العبادات في مسجد رسول الله ﷺ حال حياته لا يكون عبادةً ولا طاعةً بعد موته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[1]: «إن السفر المشروع إلىٰ مسجده يتضمن أن يفعل في مسجده ما كان يفعله في حياته وحياة خلفائه الراشدين: من الصلاة، والسلام عليه، والثناء والدعاء، كما يفعل ذلك في سائر المساجد، وسائر البقاع، وإن كان مسجده أفضل، فالمشروع فيه عبادة لله مأمور بها، وأما الذي يفعله من مسافر إلىٰ قبر غيره فإنما هو من نوع الشرك، كدعائهم وطلب الحوائج منهم، واتخاذ قبورهم مساجد، وأعيادًا، وأوثانًا، وهذا محرم بالنص والإجماع».



(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٢٦٨).

(٢٠) الصحابة وآل البيت

طلبوا من الأحياء الصالحين ليدعوا لهم، ولم يقصدوا قبر النبي ﷺ ليدعو لهم

فالصحابة حال حياة النبي ﷺ كانوا يقصدونه للدعاء لهم إلىٰ ربهم في قضاء حوائجهم، وبعد موته قصدوا الأحياء من الصحابة للغرض نفسه، ولم يقصدوا قبر النبي ﷺ مع أنه أصلح وأتقىٰ من أحياء الصحابة، وما ذاك إلا لعلمهم واعتقادهم الجازم أن الميت لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «والصحابة إنما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته، ولهذا توسلوا بعده بالعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولو كان التوسل بذاته ممكنًا بعد الموت لم يعدلوا إلىٰ العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والأعمىٰ إنما توجه بدعائه وشفاعته، وكذلك الصحابة في الاستغاثة، وكذلك الناس يوم القيامة يستغيثون به؛ ليشفع لهم إلىٰ الله، فهم يتوسلون بشفاعته، وأما بمجرد الذات بعد الممات فلا دليل عليه، ولا قاله أحد من السلف».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٢]: «فإذا لم يكن الصحابة كعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره في حياته ﷺ وبعد موته يُقسمون بذاته[٣]، بل إنما كانوا يتوسلون بطاعته أو بشفاعته - فكيف يُقال في دعاء

---

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٥٣٧، ٥٣٨).

(٢) التوسل والوسيلة، ص (٢٩٠).

(٣) **أي**: يسألون الله بالنبي.

المخلوقين الغائبين والموتىٰ، وسؤالهم من الأنبياء والملائكة وغيرهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]. قالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالمسيح وعزير وغيرهما، فنهىٰ الله عن ذلك، وأخبر تعالىٰ أن هؤلاء يرجون رحمة الله، ويخافون عذابه ويتقربون إليه، وأنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله عنهم».

والنبي ﷺ دلَّ أمته علىٰ أسباب رزقهم ونصرتهم، فذكر أن الأدعية الصادقة والأعمال الصالحة هي جماع الخير، وهي التي تجلب الخيرات وتدفع الكربات، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟**»[(١)].
وفي رواية: «**بصلاتهم ودعائهم وإخلاصهم**»[(٢)].

وكذلك الثلاثة نفر الذين أطبق عليهم الغار استغاثوا بالله، وتوسلوا إليه بأعمالهم الصالحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٣)]: «الثلاثة الذين سألوه في الغار، بأعمالهم، فإنه سأله هذا ببره العظيم لوالديه، وسأله هذا بعفته العظيمة عن الفاحشة، وسأله هذا بأدائه العظيم للأمانة؛ لأن هذه الأعمال أمر الله بها ووعد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (ص ٤٧٩ - رقم ٢٨٩٦).

(٢) السنن الكبرىٰ للنسائي (١/ ٦٧٤ - رقم ٤٣٧٢).

(٣) التوسل والوسيلة، ص (٢٧٤).

الجزاء لأصحابها، فصار هذا كما حكاه عن المؤمنين بقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]».

فالحاصل أن التوسل بذوات الموتىٰ الصالحين غير مشروع، ولو كان مشروعًا لتوسل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بذات النبي ﷺ، ولم يعدلوا إلىٰ عمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو دونه في الفضل؛ ليدعو لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «ولهذا عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بعمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولىٰ من التوسل بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما عدلوا عن التوسل به إلىٰ التوسل بالعباس؛ عُلم أن ما يُفعل في حياته قد تعذّر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائمًا».



(١) التوسل والوسيلة، ص (١٢٨).



(٢١) قبر النبي ﷺ ليس ترياقًا مجربًا فغيره من باب أولى

فكل عاقل يعرف أن النبي ﷺ سيد ولد آدم، وأنه أفضل الخلق جميعًا، فإذا لم يكن قبره ترياقًا مجربًا، فغيره من الصالحين من باب أولىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «إذا قيل عن بعض الشيوخ: إن قبره ترياق مجرب. قيل له: إذا كانت قبور الأنبياء عليهم السلام ليست ترياقًا مجربًا، فكيف تكون قبور الشيوخ؟!».

ولو كان قبر النبي ﷺ ترياقًا مجربًا لتعطلت المساجد عن الدعاء، ولأصاب الناس حرج شديد، فإنهم يتحرّون إجابة دعاء الله عند قبر النبي ﷺ خاصة أو بالاستغاثة به، وكيف لأمة الإسلام لا يسعها إجابة الدعاء في أقطار الأرض حتىٰ يضيق بالأرض كلها إلا عند قبر النبي ﷺ، فهذا حرج شديد لا تأتي به الشريعة.

وقد نزل بالمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ بلاء ونوازل شديدة، بل واستبيحت المدينة يوم الحرة، وما دفع قبر النبي ﷺ عن أهلها شيئًا، وما أكثر ما يدعو الناس عند قبر النبي ﷺ أو به ولا يستجاب لهم، فإذا كان الحال كذلك عند قبر النبي ﷺ فغيره من باب أولىٰ.

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٥٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «إذا قيل: إنه يُسجد لقبر الشيخ أو يُستلم ويُقبّل. قيل: إذا كان قبر النبي ﷺ لا يُسجد له ولا يُستلم ولا يُقبل باتفاق الأئمة، فكيف بقبر غيره؟».



(١) الرد على البكري (١/ ٣٥٦).



(٢٢) الأنبياء لا يدعون ولا يستغاث بهم بعد موتهم فغيرهم من باب أولى

النبي ﷺ زجر عن الاستغاثة به حال حياته، وقال: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**». فإذا كان لا يستغاث بسيد الصالحين حال حياته فيما يقدر عليه في حياته، فكيف ما لا يقدر عليه إلا الله في حياته وبعد موته! هذا من باب أولىٰ، وكذلك زجر ﷺ عن الاستغاثة به بعد موته.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته فرس لها حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)(٢): «إذا كان الأنبياء بعد موتهم لا يُدعون، ولا يُسألون ولا يُستغاث بهم، فكيف بمن دونهم؟».

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغُلول (ص ٥٠٨ - رقم ٣٠٧٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول (ص ٨٢١ - رقم ٤٧٣٤).

(٢) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٥٧).

(٢٣) السبب المؤثر إذا كانت مفسدته أعظم من مصلحته حرم

فمفسدة الشرك لا توازيها مصلحة ولا تزاحمها أبدًا، وقاعدة الشريعة تحريم ما كان مفسدته خالصة أو راجحة أو مساوية، فمفسدة الشرك بالاستغاثة بمخلوق ميت فوق أي مصلحة يطلبها أولئك القبوريون من سؤال الذرية، والرزق، والنصر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «فإنه ليس لكل سبب أثر يكون مشروعًا، بل الشارع ينهىٰ عن أمور لها تأثير فيطلب بعض المطالب، إذا كان ضررها راجحًا علىٰ نفعها، كما ينهىٰ عن السحر ونحو ذلك، وإن كان قد يمكن أن يُقتل به كافر، ويُطّلَعُ بذلك علىٰ بعض أخبار أعداء الإسلام، وكذلك عُبّاد الكواكب قد تخاطبهم الشياطين وتحصل لهم بعض مطالبهم، ودعاء الغائبين والأموات من هذا الباب، فقد يحصل أحيانًا أن شيطانًا يتمثل للداعي، وقد يُحصّل بعض مطالبه، لكن هذا كله منهي عنه؛ لما يترتب عليه من الفساد ما يغمر ما يُظنُّ فيه من المنفعة».



---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤١٦).

(٢٤) النهي عن البناء على القبور لصيانة الناس عن الغلو في الموتى

النبي ﷺ نهىٰ عن البناء علىٰ القبور، ونهىٰ عن تجصيصها، كل ذلك حتىٰ لا يغلو الناس في قبور الموتىٰ، والقبوريون شيدوا بناء قبور الأولياء والصالحين وجعلوا لها سدنة، وجعلوها مزارات يقصدها القريب والبعيد، لا للدعاء للميت بالمغفرة، وإنما للخضوع والخشوع عند قبره، وسؤال الميت ما لا يقدر عليه إلا الله من الرزق، والنصر، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ) مبينًا حكمة الشرع في النهي عن البناء علىٰ القبور[١]: «ومن ذلك - مما يحرم - الصلاة عندها، وإن لم يُبن هناك مسجد، فإن ذلك أيضًا اتخاذها مسجدًا، كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجدًا». ولم تقصد عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مجرد بناء مسجد، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وإنما قصدت أنهم خشوا أن الناس يصلون عند قبره، وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يُصلىٰ فيه فإنه يسمىٰ مسجدًا، وإن لم يكن هناك بناء، كما قال النبي ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**». وقد روىٰ أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبزار، وغيرهم بأسانيد جيدة، ومن تكلم فيه فما استوفىٰ طرقه».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٨٩).

(٢٥) الاستغاثة بمخلوق ميت
عزل لله عن ألوهيته وربوبيته

إذا نزلت الحاجة بأحد هؤلاء المبتدعين الضالين، فرَّ إلىٰ القبور، ونسي الله، وأنزل حاجته بمخلوق ميّت لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فهذا في حقيقته عزل لله عن ألوهيته، وتأله للمخلوق والعياذ بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما أحله، والحرام ما حرَّمه، وكأنهم قد عزلوا الله عن أن يتخذوه إلهًا، وعزلوا محمدًا ﷺ عن أن يتخذوه رسولًا.

وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام، أو التابع لهم الحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت، إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولًا إلىٰ السلطان فلان. فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارىٰ؟!! وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني، ولا يروج عليه!! ويأكلون من النذور وما يؤتىٰ به إلىٰ قبورهم ما يدخلون به في معنىٰ قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق ويصدون عن سبيل

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٧٠ - ٤٧١).

الله، ويعوضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم؛ إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك عن الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه».



(٢٦) الاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مما نهى الله عنه بعينه، فإباحته للتجربة مضادة لشرع الله

اجتهاد الخلق إنما يكون فيما يجوز الاجتهاد فيه من المسائل الفرعية غير المنصوص عليها، ومع ذلك فما لم يُنص عليه بخصوصه فإنه يؤخذ حكمه من عمومات نصوص الكتاب والسُّنَّة؛ لأن أدلة الشريعة قواعد كلية تُرد إليها آحاد المسائل.

والاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مما نهىٰ الله عنه بعينه، فركوب هذا النهي عنه بعينه بدعوىٰ التجربة مضادة للشريعة، وشأن المؤمن الانقياد للشرع لا المضادة له، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وبيّن الله عجز المستغاث بهم عن نفع الخلق، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

ونهىٰ النبي ﷺ عن الاستغاثة به، فقال: «**إنه لا يستغاث بي**». بل وكل أدلة الشريعة صغيرها وكبيرها دالة علىٰ إفراد الله وحده بالألوهية والربوبية التي مقتضاها الرغبة والرهبة له وحده لا شريك له، وهذا ما حققه النبيون، وضل عنه القبوريون، قال تعالىٰ في شأن النبيين: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].



(٢٧) أصل مقصود الرسالة
لا يمكن أن يهمله الله ليقرر الخلق حكمه بالتجربة

مقصود إرسال الرسل وإنزال الكتب هو توحيد الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وآيات القرآن كلها واضحة صريحة في تقرير حق الله الخالص في توحيده بأفعال الخلق، وبإفراده وحده بالمسألة والرغبة والرهبة فيما لا يقدر عليه إلا هو، فهذا هو أصل مقصود الرسالة، فما كان الله ليضيعه ويكل حكمه لتجارب الناس، فهذا من أشنع القول وأقبحه!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**(١): «إن كل ما شرعه الله ورسوله فهو من أعظم الوسائل إلىٰ الله، لكن دعاؤهم بعد الموت لم يشرعه الله ورسوله، فليس من الوسائل، وكذلك سؤال أحدهم ما لا يقدر عليه إلا الله ليس مشروعًا، وأصل الدين أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يُعبد إلا بما شرع، وما ذكره هؤلاء يتضمن عبادة غير الله بغير أمر الله».



(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٢٦).

(٢٨) الشريعة حاكمة على تجارب الناس لا العكس

فالشرع معصوم، وتجارب البشر محكومة بأمر الله وشرعه، وعلم البشر الذي يدركونه بتجاربهم بالنسبة لعلم الله لا شيء، فبهذا يتبين أن الشرع حاكم علىٰ تجارب الناس، وليس العكس.

والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أنزل بخلقه مقاديره من خير وشر، والله عَزَّوَجَلَّ أرشد خلقه إلىٰ كيفية طلب الخير ودفع الشر، فكيف نكون حاكمين علىٰ شرع الله وأمره، لا نستعين بالله ولا نتوكل عليه، ثم نجعل أهواءنا وتجاربنا حاكمة علىٰ شرع الله، فنوقع الناس في ورطات الشرك، ونطلب منهم الاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا كلام من تجرد عن وحي الله المعصوم، وتجرّد عن المعقول الصريح، وتجرد عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، كما قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[١].

فالواجب أن نأوي إلىٰ ركن شديد، ونفر إلىٰ الله مع بذل الأسباب، كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع عموم الصحابة، حيث رجعوا عن الشام لما بلغهم أن الطاعون وقع بها، فقال أبو عبيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مجادلًا عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في رجوعه عن الشام: أفرارًا من قدر الله؟! فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (ص ٢٢٢ - رقم ١٣٨٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنىٰ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**» (ص ١١٥٧ - رقم ٦٧٥٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يُذكر في الطاعون (ص ١٠١٢ - رقم ٥٧٢٩).

(٢٩) ما اختاره الله لنا خير مما يريد اختياره أهل التجارب لنا

فالله عَزَّوَجَلَّ اختار لخلقه الأحسن والأفضل، وهو أن يكون الخلق كلهم مفتقرين إلىٰ الله، مربوبين له وحده لا شريك له، وأهل التجارب يريدون أن يُخرجوا الناس من تحقيق التوحيد، والافتقار إلىٰ الله، وسؤاله مباشرة قضاء الحاجة وتفريج الكربة إلىٰ اتخاذ الوسائط من مخلوقين أمثالنا؛ ليكونوا وسطاء بين الله وخلقه، مع أن هؤلاء المخلوقين الموتىٰ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

[الأعراف: ١٩٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «فإن الحنفاء ليس بينهم وبين الله تعالىٰ واسطة في العبادة والدعاء والاستعانة، بل يناجون ربهم ويدعونه ويعبدونه بلا واسطة، وإنما الرسل بلغتهم عن الله عَزَّوَجَلَّ ما أمر به وأحبه من العبادات وغيرها، وما نهىٰ عنه، فهم وسائط في التبليغ والدلالة، وهم مع المؤمنين كدليل الحاج مع الحجاج، وكإمام الصلاة مع المصلين - فالرسل صلوات الله عليهم وسلامه - يعرّفون الناس طريق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما يعرّف دليل الحاج طريق مكة - شرفها الله -، ثم الناس يعبدون الله، كما أن الحجاج يقيمون مناسك

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٧٧، ٤٧٨).

الحج، والرسل أيضًا يقتدىٰ بهم في الأفعال التي يتأسىٰ بهم فيها، كما يقتدي المأموم بالإمام في الصلاة، وكل مصلٍّ يعبد ربه منه إليه بلا واسطة».



(٣٠) إجابة الدعاء تكون عن تحقيق التوحيد لا مضادته

هؤلاء المبتدعة يقصدون قبور الموتىٰ، ويجعلون الموتىٰ وسائط بينهم وبين الله في إجابة دعائهم، وقضاء حوائجهم، وتفريج كرباتهم، وهذا من جهلهم بحق الله، وتضييعهم لأسباب إجابة الدعاء، فالدعاء يُستجاب بتحقيق التوحيد، وكمال الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ.

وهؤلاء تقربوا إلىٰ الله بأقبح الأعمال وهو الشرك في مقام سؤالهم الله إجابة أدعيتهم، وقضاء حوائجهم، فبئس ما صنعوا!

فالتوحيد من أسباب إجابة الدعاء، ومن أسباب رضىٰ الله عن المخلوق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد، وعن كمال الطاعة؛ لأنه عقّب آية الدعاء بقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ [البقرة: ١٨٦]».

وبيّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١هـ) أن التوحيد مقتضٍ لإجابة الدعاء، والاستغفار رافع لموانع إجابته، حيث قال[٢]: «الدواء هو التوحيد والاستغفار، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، وفي الحديث: «**فإن الشيطان يقول: أُهلك بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار،**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٣٣).

(٢) شفاء العليل، ص (٤٥٤)، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولىٰ.

وبلا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء». فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد، وهو: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا هو رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**».

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «**دعوة أخي ذي النون ما دعاها مكروب إلا فرّج الله كربه**: «**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**»». فالتوحيد يُدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع، ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه».



(٣١) ما يجري عند القبور حصل نظيره عند الأصنام

مجرد الاستدلال بحصول أغراض المستغيثين بغير الله عند القبور - ليس فيه دليل علىٰ مشروعيته أبدًا، فإنه يحصل نظير ذلك عند الأصنام، كما كان يحصل لبعض المشركين في جاهليتهم، تجاب أدعيتهم أحيانًا، وتقضىٰ حوائجهم، فمن جعل حصول بعض غرضه دليلًا علىٰ الجواز، فقد جوّز دين الجاهلية وشرعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «إن كثيرًا من الضالين الجاهلين يستغيثون بمن يُحسنون به الظن من الأموات والغائبين في كل ما يستغاث الله فيه، ولا يتصور أن هؤلاء يسألونهم مطالبهم كلها ولا أكثرها، بل غاية ما يطلبونه منهم من جنس تحصيل المنافع ودفع المضار، ولا يحصل، بل قد يُحصّل بعض المطالب، كما يُحصّل لعباد الأصنام والكواكب وغيرهم من المشركين».

وقال العلامة مرعي الكرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٠٣٣هـ)**[(٢)]: «إنما غرَّ هؤلاء ذلك - الداعين عند المقابر - مشاهدتهم بعض الأحيان استجابة الدعاء وقضاء حوائجهم في بعض الأوقات، ومنها نشأ وجه الضلالات والشبهات لقاصري العقول وجاهلي المنقول.

وحججهم في ذلك دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٥٣٣، ٥٣٤).

(٢) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور ص (٣٥٢، ٣٥٣)، وكلامه هذا مقتبس من كلام شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم.

استحباب العبادات بمثله.

وإنما يُثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الأنبياء والصحابة والأئمة - من هو من المبطلين، فإن كثيرًا من المشركين قد يستسقون فيسقون، ويتضرعون، ويستنصرون فيُنصرون كما هو مشاهد، بل المشركون الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحيانًا، وقد استجيب دعاء بلعام بن باعوراء في قوم موسىٰ المؤمنين، فهل ذلك قاضٍ باستحباب ذلك الدعاء ومشروعيته؟!».



(٣٢) يستجاب لهم مرة ولا يستجاب لهم مرات

هؤلاء الذين يقصدون القبور لسؤال الموتىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء حوائجهم وشفاء أسقامهم - يُستجاب لهم مرة، ولا يستجاب لهم مرات، فيسلكون مسلك إخوانهم الكهان ومن يستعين بهم الذين يصدقون مرة فيما أخبروا به مما استرقوه من السمع، ويكتمون ويتناسون مئات المرات الذي أخبر الكهان بها لا يوافق الواقع.

فحق الله الخالص لا نضيعه لمنهج الكهان وأشباههم، فنحن نفرد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فنستغيث به وحده لا شريك له: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ونفرده وحده بالدعاء، ندعو الوهاب الرزاق، وهو الذي نرجوه ونستنصر به: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ومن هؤلاء الضلال المستغيثين بالقبور من تجاوز منهج الكهان إلىٰ ما هو أعظم منه شناعة، حتىٰ إن بعضهم ليذكر من تجاربه أنه يستجاب له بدعاء غير الله ما لا يستجاب له بدعاء الله، والعياذ بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[1]: «والذين يجعلون دعاء الموتىٰ من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعائهم الله - أنواع متعددة: منهم من يقدم دعاءهم، ومنهم من يحكي أنواعًا من الحكايات، حكاية أن بعض

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٥٨٥).

المريدين استغاث بالله فلم يغثه، فاستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا الله فلم يخرجه، فدعا بعض المشايخ الموتىٰ فجاءه فأخرجه إلىٰ بلاد الإسلام، وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده: إذا كانت لك حاجة فتعال إلىٰ قبري. وآخر قال: فتوسل بي. وآخر قال: قبر فلان الترياق المجرب. فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية الشركية علىٰ أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين».



(٣٣) النبي ﷺ والصالحون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم

سادات الصالحين هم الأنبياء عليهم السلام، وهم أنفسهم مقرون بأن الأمر كله لله، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، وهذا إنما ذكروه إرشادًا للخلق؛ ليتوجهوا إلىٰ الله لا إليهم. قال تعالىٰ عن نبينا ﷺ: ﴿**قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «فإذا كان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وقد أمره الله أن يقول ذلك - فهو أحرىٰ أن لا يملك لغيره، وقد قال: ﴿**قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا**﴾ [الجن: ٢١]، فأخبر أنه لا يملك من الله لا ضرهم ولا رشدهم، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، يا عباس عم رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا**».

فهذا تخصيص له بنفي ذلك، وهو من أصدق الرسل، ومن صدّق الرسول فيما قاله فهو مؤمن ليس بكافر، فإذا قال القائل: الرسول لا يغني عن بنته ولا عمه ولا عمته من الله شيئًا فكيف من دونهم؟ كان هذا من أحسن الكلام وأصدقه».

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٥٤٨).

وقال الوالد العلامة صالح الفوزان حفظه الله معلقًا علىٰ قول النبي ﷺ لقرابته: «لا أغني عنكم من الله شيئًا»[١]: «وفي هذا دليل علىٰ بطلان التعلق بالأشخاص، والتعلق بالأولياء والصالحين، واعتقاد أنهم يقرِّبون إلىٰ الله زلفىٰ، كما يفعله المشركون قديمًا وحديثًا، الذين يتعلقون بالأولياء والصالحين، ويعتقدون أنهم يشفعون لهم عند الله، وأنهم يتوسّطون لهم عند الله، ويتقرَّبون إلىٰ الأولياء والصالحين بالذبح، والنذر، والاستغاثة، والاستعاذة، والدعاء، كما قال الله سبحانه: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، هذا زعمهم، ولا يزال هذا عند بعض الناس إلىٰ اليوم، هناك طوائف كثيرة من عُبّاد القبور والصوفية، وغيرهم يعتقدون أن الأولياء والسادة أنهم يُكْفونهم المؤنة، ويذهبون إلىٰ أضرحتهم، ويتمسحون بها، ويذبحون عندها، وينذرون لها، ويهتفون بأسمائهم، ويظنون أن هذا ينفعهم عند الله تعالىٰ، وفي هذا الحديث وغيره ردٌّ علىٰ هؤلاء؛ لأنه إذا كان الرسول ﷺ وهو أشرف الخلق، وأقرب الخلق إلىٰ الله، وأكرمهم علىٰ الله - يقول لعشيرته وأقاربه: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**». فكيف يتعلّق الناس علىٰ المخلوقين؟

فالواجب أن يتعلق الناس بربهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن يتقربوا إليه بالطاعة والعبادة، ويُخلصوا له التوحيد، هذا هو طريق النجاة، أما التعلق بالمخلوقين ولو

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢١٦).

كانوا أنبياء أو صالحين أو أولياء - فإنهم لا ينفعون من تعلق بهم، وتوسل بهم، أو بجاههم أو بحقهم، هذا كله باطل».



(٣٤) الاستغاثة بالميت لا يمكن أن يكون مشروعًا ويُصرف عنه الصحابة

فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم بطانة النبي ﷺ وتلامذته، وهم الذين تعلموا منه ﷺ ما يجوز وما لا يجوز، وميَّزوا بحق وصدق بين حق الله وحق المخلوق، وهم أعرف الخلق بما يدفع البلاء ويرفعه، وما يجلب الخير ويحفظه، فمحال أن تكون الاستغاثة بالموتىٰ من أسباب جلب المنفعة ودفع المضرة، ولا يعرفه الصحابة، بل الواضح من سيرتهم زجرهم عن أسباب ووسائل الغلو في الموتىٰ فضلًا عن الاستغاثة بهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٧٥١هـ)**[1]: «فهذه سُنَّة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعًا وعشرين سنة، حتىٰ توفاه الله تعالىٰ، وهذه سُنَّة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل يُمْكن بشر علىٰ وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح، أو حسن، أو ضعيف، أو منقطع: أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعَوْا عندها، وتمسحوا بها، فضلًا عن أن يُصَلّوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم؟!

فليوقفونا علىٰ أثر واحد، أو حرف واحد في ذلك.

بلىٰ، يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد، كان ذلك أكثر، حتىٰ لقد وُجد في ذلك عدَّة مصنفات

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٧٦، ٣٧٧).

ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن أصحابه - حرف واحد من ذلك، بلىٰ، فيها من خلاف ذلك كثير، كما قدمناه من الأحاديث المرفوعة».



(٣٥) ذات أنواط وزيادة

قصد الموتىٰ وسؤالهم قضاء الحوائج، وجلب المنافع، ودفع المضار - هذا أعظم من مجرد التبرك بحجر أو شجر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥١هـ)**(١): «قد أنكر رسول الله ﷺ علىٰ الصحابة لمّا سألوه أن يجعل لهم شجرة يُعَلّقون عليها أسلحتهم ومتاعهم خصوصًا.

فروىٰ البخاري في صحيحه عن أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ حُنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم - يقال لها: ذاتُ أنواط -، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**»(٢).

فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها: اتخاذ إله مع الله تعالىٰ، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به ودعائه، والدعاء عنده؟!

فأي نسبة للفتن بشجرة إلىٰ الفتنة بالقبر؟! لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون!

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٨٠، ٣٨١).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢١٨)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء «**لتركبن سنن من كان قبلكم**» (ص ٥٠١ - رقم ٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح. وابن أبي عاصم في السنة (ص ٣٦ - رقم ٧٦)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك[١]: فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويَرْجُون البراء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخِرق - فهي ذات أنواط، فاقطعوها».



(١) هو أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحوادث والبدع ص (١٠٤، ١٠٥).

(٣٦) فتنة واستدراج

فإن كل من خرج عن الطريق الشرعي إلىٰ الطريق البدعي أو الشركي - فإن الله يستدرجه، ويملي له وهو في غيه وضلاله؛ ليكون من أصحاب النار، لتنكّبه عن صراط الله المستقيم الذي أبانه الله لخلقه غاية الإبانة والوضوح، وهذه سنة الله في خلقه واضحة، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

فهؤلاء لما عدلوا عن سؤال الله إلىٰ سؤال مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله - أزاغ الله قلوبهم، وأنزل بهم وعده وسُنَّته، كما قال ﷺ: «**من تعلّق شيئًا وُكّل إليه**»(١)، فوكلهم الله إلىٰ من أنزلوا حاجتهم به، وهم بشر مثلهم، وشياطين تغويهم وتجيب بعض حاجاتهم، فما يُقدره الله من إجابة بعض أدعيتهم أحيانًا وهم مقيمون علىٰ الشرك - فتنة من الله واستدراج لهم، فما بُلوا بعقوبة أعظم من فرحهم بالشرك، ولزومهم له، لمجرد أن قضيت بعض حاجاتهم.

قال العلامة مرعي الكرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٠٠هـ) في هؤلاء**(٢): «وكأقوام ناجوا الله في دعواتهم بمناجاة فيها جرأة علىٰ الله واعتداء لحدوده، فأعطوا مسئولهم فتنة لهم، أو لما يشاء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق (ص ٤٧٦ - رقم ٢٠٧٢).

(٢) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور ص (٣٥٣ - ٣٥٤).

وتأثير هذه الأسباب قد يكون فتنة لمن ضعف عقله ودينه إذا لم يرزق من العلم والإيمان ما يوجب له الهدىٰ واليقين».



(٣٧) لجأ الضرورة يقع معه إجابة الدعاء ولو من مشرك

لجأ الضرورة يحصل معه استجابة الدعاء أحيانًا، ولو بدعاء محرم؛ لصدق التوجه إلىٰ الله، وهذا يقع أيضًا للكفار، فلا يُقال: إن هذا بمجرده دال علىٰ مشروعية الأدعية المحرمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة - أن الرجل منهم قد يكون مضطرًّا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن استجيب له؛ لصدق توجهه إلىٰ الله، وإن كان تحري الدعاء عند الوثن شركًا.

ولو استجيب له علىٰ يد المتوسل به - صاحب القبر - أو غيره لاستغاثته - فإنه يعاقب علىٰ ذلك، ويهوي به في النار إذا لم يعف الله عنه».

وتأمل مؤثر الضرورة في دعاء المصلين، فإنهم في حال العافية قلوبهم ضعيفة الرجاء والرغبة إلىٰ الله، ومع وجود الضرورة إقبال قلوبهم يقوىٰ للجأ الضرورة، فيكون ذلك سببًا في إجابة أدعيتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[٢]: «من المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة، فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢١٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٦ - ١٩٧).

أو لرفع شر كالاستنصار، حاله في افتتانه بالقبور - إذا رجا الإجابة عندها - أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية، فإن أكثر المصلين - في حال العافية - لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلا قليلًا، أما الدّاعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدًّا، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحققة في حال هؤلاء - كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد، وهذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له ما جاءت به الحنيفية من الدين الخالص لله، وعلم كمال سُنَّة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشرك بكل طريق».

علىٰ كل حال إجابة دعاء الكافر للجأ الضرورة واقع، وقد نطق به القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[1]: «والخلق كلهم يسألون الله مؤمنهم وكافرهم، وقد يجيب الله دعاء الكفار، فإن الكفار يسألون الله الرزق فيرزقهم ويسقيهم، وإذا مسّهم الضر في البحر ضلّ من يدعون إلا إياه، فلما نجاهم إلىٰ البر أعرضوا، وكان الإنسان كفورًا».



(١) التوسل والوسيلة، ص (١٣٧).

(٣٨) الإجابة عند بعض القبور قدح في غيرها حيث لا تُقدّر فيها الإجابة

هؤلاء القبوريون يعتقدون بحسب أوهامهم، وما يقع لهم أحيانًا من إجابة الدعوة عند قبر وليهم اختصاص هذا الولي وقبره وبقعته بالإجابة دون غيره من البقاع وقبور الصالحين، وهذا دال علىٰ ضلال مذهبهم، فإنهم بمقتضىٰ تعليلهم بإجابة الدعوة في بعض الأحيان لا يستجاب لهم في بقعتهم المفضلة، فهذا قدح في الولي نفسه وقبره، وهو يوجب القدح في قبور سائر الموتىٰ حيث لا يُجاب فيها الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «إنك تجد كثيرًا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره، كل منهم قد اتخذ وثنًا أحسن به الظن، وأساء الظن بآخر، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده، ولا يستجاب عند غيره، فمن المحال إصابتهم جميعًا، وموافقة بعضهم دون بعض تحكُّمٌ، وترجيح بلا مرجح، والتدين بدينهم جميعًا جمع بين الأضداد».



---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٠٨).

(٣٩) إجابة أدعية الموحدين أعظم من إجابة أدعية القبوريين

إذا جادل القبوريون بما يقع لبعضهم من إجابة الدعاء عند القبور مع أنه قليل، وهو مع قلته استغاثة شركية تمحق بركة ما طلبوا إجابة دعاءه - فإنا نقول لهم إن إجابة أدعية الموحدين أعظم وأوضح من إجابة أدعية القبوريين.

وأدعية الموحدين بكل حال خير وبركة، فهي **أولًا**: عبادة. **وثانيًا**: موافقة للسُّنَّة. **وثالثًا**: تحقيق للتوحيد بسؤال الله وحده. **ورابعًا**: مجابة الدعوة إما بحصول الغرض المسئول نفسه، أو دفع من السوء ما هو من جنسه، أو ادخاره من الله فضلًا وبركة للدار الآخرة.

فهذا نبينا ﷺ سيد الحنفاء، أعظم الناس إجابة للدعاء، حتىٰ إنه ما إن ينتهي من دعائه إلا ويُرىٰ أثر إجابة دعائه كما في استسقائه، ولم يكن ﷺ يدعو الموتىٰ ولا يتوسل إلىٰ الله بهم، وهكذا سائر أصحابه.

وهذا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا علىٰ من شكاه وافترىٰ عليه أنه لا يُحسن يُصلي، فاستجيب له، حتىٰ قال ذلك الظالم المدعو عليه: أصابتني دعوة سعد.

وهذا البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال فيه النبي** ﷺ: «**هذا لو أقسم علىٰ الله لأبره**». إلىٰ غير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ) في فرق ما بين إجابة أدعية الموحدين وأدعية القبوريين**[١]: «فإن هؤلاء الذين يتحرّون الدعاء عند القبور

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٠٩ - ٢١٠).

وأمثالهم، إنما يُستجاب لهم في النادر، ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات، فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم، فيستجاب للواحد بعد الواحد، وأين هذا من الذين يتحرّون الدعاء أوقات الأسحار، ويدعون الله في سجودهم وأدبار صلاتهم، وفي بيوت الله؟

فإن هؤلاء إذا ابتهلوا من جنس ابتهال المقابريين، لم تكد تسقط لهم دعوة إلا لمانع.

بل الواقع أن الابتهال الذي يفعله المقابريون إذا فعله المخلصون، لم يرد المخلصون إلا نادرًا، ولم يستجب للمقابريين إلا نادرًا، والمخلصون كما قال النبي ﷺ: «**ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل الله له دعوته، أو يدّخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها**». قالوا: يا رسول الله، إذن نكثر. قال: «**الله أكثر**»(١). فهم في دعائهم لا يزالون بخير. وأما المقبريون: فإنهم إذا استجيب لهم نادرًا، فإن أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون، ولعله لا يكاد يبارك له في حاجته، اللهم إلا أن يعفو الله عنهم؛ لعدم علمهم بأن ذلك بدعة».

❃ ❃ ❃

(١) رواه أحمد (٣/ ١٨)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب «**ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له**» (ص ٨٢١ - رقم ٣٦٠٤).

(٤٠) إجابة دعاء القبوريين يعقبه هلاكهم وضررهم

الاعتداء في الدعاء حرام وممنوع، وأعظم أنواع الاعتداء في الدعاء دعاء الله بالشرك، كالاستغاثة بالموتىٰ وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله، فهؤلاء لو قُدر أن الله أجاب دعاءهم فإنه يعقبه هلاكهم أو تلفهم لاعتدائهم في الدعاء، قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فهذا بلعم بن باعوراء من بني إسرائيل سأله أعداء موسىٰ وقومه أن يدعو الله أن يرد موسىٰ عنهم، فأجيبت دعوته، ثم انتصر الله من بلعم وقومه الكافرين. قال تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لما نزل موسىٰ بهم - يعني: بالجبارين - ومن معه، أتاه - يعني: بلعم - أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسىٰ رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسىٰ ومن معه. قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسىٰ ومن معه، ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتىٰ دعا عليهم، فسلخه الله ما كان عليه، فذلك

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٢]: «قد استجيب لبلعم بن باعور في قوم موسىٰ المؤمنين، وسلبه الله الإيمان، والمشركون قد يستسقون فيُسقون، ويستنصرون فيُنصرون».

ويدل لذلك أيضًا حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك له بالغنىٰ، إما بموت عاجل، أو غنىٰ عاجل»[٣].

فهنا موت الموحدين ليس عقوبة لهم كموت القبوريين، فموتهم راحة لهم من كدر الدنيا، وانتقال إلىٰ دار أكرم وأفضل، أما هلكة القبوريين فهي عقوبة لهم لأن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة، أما من مات علىٰ الشرك فبئس الخاتمة خاتمته.



---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٠٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٠٩).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف (ص ٢٤٥ - رقم ١٦٤٥)، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبها (ص ٥٣٢ - رقم ٢٣٢٦)، وقال: حسن صحيح غريب. ورواه الحاكم (١/ ٤٠٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤١) استجابة دعاء القبوريين من جنس ما ينعم الله به على الكفار والفاسقين

يخطئ من يتوهم أن إجابة دعاء من استغاث بغير الله دليل رضا الله عن الْمُنعم عليه بالإجابة، فهذا لا يكون، فالأدعية الشركية مما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ قد يُنعم من هو مغضوب عليه ولو بإجابة دعائه أحيانًا، كما يُنعم الله علىٰ الكافرين والفاسقين بأنواع فضله ورزقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «من غرور هؤلاء وأشباههم: اعتقادهم أن استجابة مثل هذا الدعاء كرامة من الله تعالىٰ لعبده، وليس في الحقيقة كرامة، وإنما تشبه الكرامة من جهة أنها دعوة نافذة، وسلطان قاهر، وإنما الكرامة في الحقيقة: ما نفعت في الآخرة، أو نفعت في الدنيا ولم تضر في الآخرة، وإنما هذا بمنزلة ما ينعم به الكفار والفساق من الرياسات والأموال في الدنيا، فإنها إنما تصير نعمة حقيقية إذا لم تضر صاحبها في الآخرة».



---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٠ - ٢٢١).

(٤٢) تعظيم أبدان الموتى ومكانهم والاستغاثة بهم أقرب إلى عبادة الأوثان

الميت حقه الدفن والصلاة عليه والدعاء له، أما تعظيم قبره والغلو فيه، والاستغاثة به وسؤاله ما لا يقدر عليه من الرزق والنصر وغيره - فهذا من اتخاذه وثنًا، والعياذ بالله.

وهذا ما خشيه النبي ﷺ علىٰ قبره، خشي أن يُتخذ وثنًا يُعبد كهذا الذي نذكره مما يفعله القبوريون عند قبور الأولياء والصالحين، ولذلك أمر النبي ﷺ أن يُدفن في بيته(١)، ولولا ذلك لأُبرز قبره.

فقد روىٰ مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضبُ الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.** ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يكون مسجدًا»(٣).

فتأمل قول النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد»، فالغلو في قبور الصالحين وسؤال الموتىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله من طلب الرزق والنصر ونحوه

---

(١) رواه ابن ماجه كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (ص ٢٣٣ - رقم ١٦٢٨).

(٢) الموطأ (١/ ١٧٢ - رقم ٨٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يُكره من اتخاذ المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٢ - رقم ١٣٣٠)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٥ - رقم ١١٨١).

- هو من تصيير قبور الأولياء والصالحين أوثانًا تُعبد من دون الله.

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: 1182هـ)**[1]: «وكذلك تسمية القبر مشهدًا، ومن يعتقدون فيه وليًّا لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن؛ إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: علىٰ الله وعليك. ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد، ونحوها».

فتعظيم البقاع التي لم يعظمها الله كالقبور والمغارات، والغلو في أبدان الموتىٰ - هو من اتخاذها أوثانًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: 728هـ)**[2]: «فإن تعظيم مكان لم يعظمه الشرع شر من تعظيم زمان لم يعظمه، فإن تعظيم الأجسام بالعبادة عندها أقرب إلىٰ عبادة الأوثان من تعظيم الزمان، حتىٰ إن الذي ينبغي تجنب الصلاة فيها، وإن كان المصلي لا يقصد تعظيمها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلىٰ تخصيصها بالصلاة فيها، كما ينهىٰ عن الصلاة عند القبور المحققة، وإن لم يكن المصلي يقصد الصلاة لأجلها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: 728هـ)**[3]: «فمن قصد بقعةً يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء، أو قناة جارية، أو جبلًا، أو

---

(1) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (62).

(2) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 164 - 165).

(3) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 158).

مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يُشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا، ولا نوعًا».



(٤٣) قد تكون إجابة الدعاء مجرد رحمة الله بالداعي

تعيين أن الله أجاب دعاء القبوريين لأنهم استغاثوا بما نهىٰ الله عنه من سؤال المخلوقين ما لا يقدر عليه إلا الله - بعيد؛ لأن الله نهىٰ عن ذلك أشد النهي وأبلغه، وحكمة الله فيما يقدره ومنها إجابة أدعية المخلوقين، ولو كان دعاؤهم بدعيًّا أو شركيًّا، لا يمكن للبشر أن يحيطوا بذلك كله، فحسبنا أن نلزم شرع ربنا، ونحقق التوحيد، ونحاذر الاعتداء في الدعاء، أما أولئك فقد يستجيب الله لهم لحكم ربما يمكننا تفهم واستنباط بعضها، وقد نجهل حِكَمًا أخرىٰ الله أعلم بها، فلربما أجاب الله دعاء بعض المستغيثين رحمة بهم، ولا يمكننا أن نغفل رحمة الله بالكافر مع كفره وفريته علىٰ الله أعظم الفرىٰ كاتخاذ الولد، والند لله، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «وأما إجابة الدعاء فقد يكون سببه اضطرار الداعي وصدقه، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له، وقد يكون أمرًا قضاه الله لا لأجل دعائه، وقد يكون لأسباب أخرىٰ».



(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٦٧ - ١٦٨).

(٤٤) دعاوى القبوريين كدعاوى المشركين

القبوريون المستغيثون بغير الله يشبهون المشركين في تعيين سبب إجابة الله أدعيتهم وقضاء حاجاتهم، فالمشركون إذا مُطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا. ولم يقولوا كما يقول الموحدون: مطرنا بفضل الله ورحمته.

فعن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف، أقبل علىٰ الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته. فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا. فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[1].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قوله:** «**فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب**»، لأنه نسب المطر إلىٰ الله، ولم ينسبه إلىٰ الكوكب، ولم ير له تأثيرًا في نزوله، بل نزل بفضل الله.

قوله: «**وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا**»: الباء للسببية، «**فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»، وصار كافرًا بالله؛ لأنه أنكر نعمة الله، ونسبها إلىٰ سبب لم يجعله الله سببًا مستقلًّا، فتعلقت نفسه بهذا السبب، ونسي نعمة الله»[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (ص ١٣٧ - رقم ٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مُطرنا بالنوء (ص ٤٩ - رقم ٢٣١).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد ص (٣٨٩ - ٣٩٠).

هكذا القبوريون ضاهوا المشركين، فقالوا: أجيب لهم بسبب شركهم واستغاثتهم بغير الله. والله لم يجعل الشرك سببًا لإجابة الدعاء.



(٤٥) القضاء الكوني نافذ ولو فيما خالف الشريعة

يتعين علىٰ طالب العلم هنا أن يستحضر الفرق بين القضاء الكوني والشرعي، حتىٰ يزن الأمور بالموازين العادلة الصحيحة، فالاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك ولا يرضاه الله، لكنه سبحانه قضىٰ كونًا أن فلانًا يستغيث بمخلوق فيجيب الله دعاءه، فهذا لا يدل علىٰ مشروعية الاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، لأن القضاء الكوني لا بد أن يقع، ويكون فيما يحبه وما لا يحبه إلا الله، بخلاف القضاء الشرعي الذي لا يكون إلا فيما يحبه الله.

فمثلًا نجد أن الله قضىٰ كونًا أن بني إسرائيل يفسدون في الأرض كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣]، فلا يمكن لعاقل أن يستدل به علىٰ مشروعية الفساد في الأرض لمجرد وقوعه، أما القضاء الشرعي فلا يكون إلا فيما يحبه الله، وقد يقع وقد لا يقع بحسب امتثال المكلف لأمر الله وقضائه وحكمه الشرعي كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١هـ)[١]: «فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدّره، ويجتمع الأمران فيما وقع من

---

(١) شفاء العليل، ص (٤٦٤)، ط: دار الكتب العلمية: الأولىٰ.

طاعات عباده وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر.

وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي.

إذا عُرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان: كوني قدري: كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤]، وقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾[١] [الزمر: ٦٩]، **وشرعي ديني:** كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي: أمر وشرع، ولو كان قضاء كونيًّا لما عُبد غير الله».

فالحاصل أن هؤلاء استجيب لهم بقضاء الله وقدره، لا لأن الشرك والاستغاثة بغير الله سبب لإجابة الدعاء، فإن هذا لا يقوله أهل التوحيد والإيمان.

قال والدنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٢]: «نعم، قد يقع لهؤلاء الذين يدعون الأولياء أو القبور أن تحصل لهم حاجاتهم التي طلبوها، لكن هذا لا يدل علىٰ صحة ما هم عليه؛ لأنهم قد يُعطون ما طلبوا من باب الفتنة، ومن باب الاستدراج، أو أنه يصادف ذلك قضاءً وقدرًا من الله عَزَّوَجَلَّ في إعطائهم هذا الشيء، فيظنون أنه بسبب القبور، وهو في الواقع بقضاء الله وقدره، فحصول المطلوب لا يدل علىٰ صحة الطلب، إنما الاحتجاج يكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا بالعادات والتقاليد، والحكايات، والمنامات، والخرافات، أو أن فلانًا قد

---

(١) **قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله:** «هذا قضاء حكمي جزائي، وهو نوع ثالث، معناه: الحكم الفصلي بين المتخاصمين».

(٢) إعانة المستفيد (١/ ٢٥١ - ٢٥٢).

حصل له كذا، وفلانًا ذهب إلىٰ القبر الفلاني، وفلانة ذهبت إلىٰ القبر الفلاني فحملت، هذا ليس بدليل أبدًا؛ لأن إعطاء الإنسان شيئًا مما يحتاج إليه لا يدل علىٰ صحة ما ذهب إليه، أو ما فعل من الشرك والعادات السيئة».





(٤٦) عمارة المساجد والبيوت لا القبور

الإنسان في دهره كله يجري عليه قدر الله كله خيره وشره، وأحوال الخلق يعتريها ما يعتريها من تقلب الأحوال، فلا ينفك العبد عن الحاجة إلىٰ إله الخلق جميعًا يجيبه في كل وقت، وبيده الأمر كله في تفريج الكرب، وبسط الرزق، ودفع العدو، فإذا أنزل حاجته بالله في كل وقت ولحظة فذلك عبد الله حقًّا، وهذا مقصود الله من تقدير المقادير، أن يكون المخلوق مفتقرًا مبتهلًا إلىٰ ربه.

وأما أهل البدع فيريدون أن ننزل حاجاتنا بالموتىٰ البشر المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فالموحدون عمروا قلوبهم بالتوحيد والرغبة والرهبة إلىٰ الله، وعمروا المساجد وبيوت الله بالدعاء لله وحده لا شريك له، والقبوريون عمروا القبور بالدعاء عند الموتىٰ أو بهم، وعمروا قلوبهم من التعلق بالمخلوقين فاستغاثوا بالمخلوقين، ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١ – ٨٢].

فالعدول عن الله وقصد غيره، والعدول عن مساجد الله وبيوته إلىٰ قبور الموتىٰ – خروج من الهدىٰ إلىٰ الضلال، ولا يرغب عن الله إلا محروم مطرود من رحمة الله.



(٤٧) النبي ﷺ علَّمنا الدعاء للموتى لا الدعاء بهم

النبي ﷺ مُعلِّم البشرية دلَّ أمته علىٰ كل خير وحذَّرهم من كل شر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، ويُنْذرهم شرّ ما يعلمه لهم**»(١). وهذا أمر يعرفه العام والخاص، وشهد به العدو الكافر قبل المسلم الصديق المحب، عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال لنا المشركون: إني أرىٰ صاحبكم يُعلِّمكم، حتىٰ يُعلِّمكم الخِرَاءَةَ. فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونهانا عن الرَّوْث والعظام، وقال: «**لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار**»(٢).

وفي لفظ: قال المشركون: «قد علَّمكم نبيكم ﷺ كل شيء»(٣). فلا يجوز أن نعدل عما علَّمنا نبينا ﷺ المعصوم الرءوف الرحيم بأمته الذي دلَّنا علىٰ كل خير.

ومن آكد ما علمناه النبي ﷺ هو أننا إذا دخلنا المقابر نتذكر الآخرة، ونسلم علىٰ الموتىٰ، وندعو لهم لا ندعو بهم.

قال بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ يُعلمهم إذا خرجوا إلىٰ المقابر أن يقول قائلهم: «**السلام علىٰ أهل الديار**». وفي لفظ: «**السلام عليكم أهل**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول، (ص ٨٢٨ - رقم ٤٧٧٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة (ص ١٢٥ - رقم ٦٠٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة (ص ١٢٥ - رقم ٦٠٦).

الديار، من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**إن جبريل أتاني، وقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**». فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف أقول لهم؟ قال: «**قولي: السلام علىٰ أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**»[(٢)].

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٤)]: «فهذا ونحوه مما كان النبي ﷺ يفعله، ويأمر به أمته عند قبور المسلمين، عقب الدفن، وعند زيارتهم، والمرور بهم - إنما هو تحية للميت، كما يُحَيِّ الحيّ، ودعاء له كما يدعىٰ له، إذا صلىٰ عليه قبل الدفن أو بعده، وفي ضمن الدعاء للميت، دعاء الحي لنفسه، ولسائر المسلمين، كما أن الصلاة علىٰ الجنازة فيها الدعاء للمصلي، ولسائر المسلمين، وتخصيص الميت بالدعاء له، فهذا كله وما كان مثله من سُنَّة رسول الله ﷺ، وما كان عليه السابقون الأولون، هو المشروع للمسلمين في ذلك، وهو الذي كانوا يفعلونه عند قبر النبي ﷺ، وغيره».

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (ص ٣٩٢ - رقم ٢٢٥٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (ص ٣٩١ - رقم ٢٢٥٦).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت (ص رقم ٣٢٢١)، والحاكم (١/ ٣٧٠) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٩).

وفي المقابل نجد أن النبي ﷺ نهىٰ عن الصلاة في المقابر، ونهىٰ عن اتخاذ البيوت مقابر، فعن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[1].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فلولا ذاك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[3]: «قوله ﷺ: «**ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا**». أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهىٰ عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارىٰ ومن تشبَّه بهم».

الميت بشر مخلوق قضىٰ نحبه، فهو أحوج إلىٰ نفع الأحياء له، لا انتفاع الأحياء به إلا من جهة ما يحصل لهم من الثواب والأجر بالدعاء والاستغفار للميت.

فالميت انقطع عمله وهو بحاجة إلىٰ من ينفعه بعد موته بالصلاة عليه، والاستغفار له، لذلك ندب الشرع إلىٰ الصلاة عليه كما قال النبي ﷺ: «**ما من مسلم يموت فيقوم علىٰ جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا فيشفعون فيه**

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٤ - رقم ١١٧٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يُكره من اتخاذ المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٢ - رقم ١٣٣٠)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٥ - رقم ١١٨١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٢).

إلا شفّعهم الله فيه»[١].

وبيّن النبي ﷺ حاجة الميت لنفع الأحياء له، فقال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٢].

فهؤلاء القبوريون عوضًا عن نفع الميت طلبوا النفع من الميت واستغاثوا به، واستشفعوا به، ونحن منهيون عن أذية الميت، مأمورون بالإحسان إليه، كما قال النبي ﷺ: **«إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»**[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٤]: «قد عُلم بالاضطرار والتواتر من دين الإسلام وبإجماع سلف الأمة وأئمتها - أن ذلك ليس بواجب ولا مستحب، وعلم أنه لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم.

فلا يقول أحد: يا ملائكة الله، اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا.

وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله، يا رسول الله، ادع الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي، سل الله أن يغفر لي، أو يهديني، أو ينصرني، أو يعافيني.

ولا يقول: أشكو إليك ذنوبي، أو نقص رزقي، أو تسلط العدو عليَّ، أو أشكو

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب «**من صلىٰ عليه أربعون شفعوا فيه**» (ص ٣٨٢ - رقم ٢١٩٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ص ٧١٦ - رقم ٤٢٢٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «**يُعذب ببعض بكاء أهله عليه**» (ص ٢٠٦ - رقم ١٢٨٦)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب «**الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه**» (ص ٣٧٢ - رقم ٢١٤٢).

(٤) التوسل والوسيلة ص (٧٠، ٧١).

إليك فلانًا الذي ظلمني.

ولا يقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجبر من يستجيرك، أو أنت خير معاذ يستعاذ به.

ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضرًا أنه استجار بفلان، ويذهب بالمحضر إلىٰ من يعمل بذلك المحضر، ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصارىٰ في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم.

فهذا مما عُلم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته».

قال العلامة الشيخ أحمد بن إبراهيم العيسىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٢٩هـ)**[(١)]: «إن الميت قد انقطع عمله، وهو يحتاج إلىٰ من يدعو له، ويشفع له، ولهذا شرع في الصلاة عليه وجوبًا أو ندبًا ما لم يُشرع مثله في الدعاء للحي، فإنا لما كنا إذا قمنا إلىٰ جنازته ندعو له، ونشفع له، فبعد الدفن أولىٰ أن ندعو له ونشفع؛ لأنه في قبره بعد الدفن أشد احتياجًا إلىٰ الدعاء منه علىٰ نعشه؛ لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره، علىٰ ما روي عن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل**».

وروي عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنه قال**: إذا سئل الميت: من ربك؟ يتراءىٰ له الشيطان في صورة ويشير إلىٰ نفسه - أي: أنا ربك -. قال الترمذي: هذه فتنة

---

(١) الرد علىٰ شبهات المستغيثين بغير الله ص (٦١).

عظيمة، وكانوا يستحبون إذا وُضع الميت في اللحد أن يقال: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم».



(٤٨) الله عَزَّوَجَلَّ قطع تعلق القلوب بالمخلوقات رغبة ورهبة وعبادة واستعانة

الله عَزَّوَجَلَّ الذي له الكمال المطلق، المتصرف في خلقه إيجادًا وعدمًا ورزقًا ونفعًا وضرًّا ونصرًا - قطع تعلق قلوب عباده بمخلوق مثلهم رغبة ورهبة وعبادة واستعانة، ثم يأتي هؤلاء المبتدعة فيخضعون عند قبر مخلوق مثلهم ميت ويرغبون إليه ويستغيثون به سائلينه أن يرفع ما بهم من كرب وبلاء، مستنصرين به، طالبين منه الرزق، أو مستشفعين به إلىٰ الله؛ ليرزقهم وينصرهم ويفرج كربتهم، فهؤلاء قلبوا أمر الله وحكمه، أعاذنا الله من صنيعهم.

فالأمر كله لله ليس إلىٰ البشر الموتىٰ الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «فقد تهدد سبحانه من دعا شيئًا من دون الله، وبيَّن أنهم لا ملك لهم مع الله ولا شركاء في ملكه، وأنه ليس له عون ولا ظهير من المخلوقين، فقطع تعلق القلوب بالمخلوقات رغبةً ورهبةً وعبادةً واستعانةً».

❊ ❊ ❊

(١) التوسل والوسيلة ص (٢٨٠).

(٤٩) دعاء غير الله شرك

هؤلاء القبوريون يدعون غير الله، ويستغيثون بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويأتون إلىٰ قبور الصالحين، ويدعون الموتىٰ وهم في غاية الخضوع والتذلل، وكل ذلك من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله فالدعاء عبادة، والأدلة واضحة في ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال النبي ﷺ: «**الدعاء عبادة**»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[٢]: «العبادة هي لله وحده، فلا يصلىٰ إلا لله، ولا يصام إلا لله، ولا يُحج إلا إلىٰ بيت الله، ولا تُشد الرحال إلا إلىٰ المساجد الثلاثة؛ لكون هذه المساجد بناها أنبياء الله بإذن الله، ولا يُنذر إلا لله، ولا يُحلف إلا بالله، ولا يُدعىٰ إلا الله، ولا يُستغاث إلا بالله».

وقال العلامة الشيخ أحمد بن إبراهيم العيسىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٣٢٩هـ)**[٣]: «وقد تقرر أن الدعاء يجمع من أنواع العبادة كثيرًا: كإسلام الوجه لمن يدعوه،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٧١)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٧٦ - رقم ٧١٤)، والنسائي في الكبرىٰ (٣/ ١٨٢١ - رقم ١١٤٠٠)، وأبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء (ص ٢٢٠ - رقم ١٤٧٩)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب الدعاء مخ العبادة (ص ٧٧٠ - رقم ٣٣٧٢)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني.

(٢) التوسل والوسيلة، ص (٢٩٩).

(٣) الرد علىٰ شبهات المستغيثين بغير الله ص (٤١)، ط: دار العاصمة - الرياض، تحقيق: الشيخ عبد السلام البرجس العبد الكريم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والرغبة إليه، والاعتماد عليه، والخضوع له، والاطراح والتذلل، فمن أسلم وجهه لغير الله فهو مشرك شاء أم أبىٰ، ومن رغب عن الله إلىٰ غيره فكذلك، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]».





(٥٠) مقدورات الرب جعلوها للمربوب

توحيد الربوبية واضح لمشركي الجاهلية فضلًا عن موحدي الأمة الإسلامية، فأهل الجاهلية كما ذكر الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وكان أهل الجاهلية إذا أحاطت بهم الخطوب، ونزلت بهم الكروب، سألوا الله وحده لا شريك له كشف الضر عنهم وتحويله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. أما القبوريون في زماننا هذا فهم أضل سبيلًا، فإذا نزلت بهم نازلة فزعوا إلىٰ القبور وسألوا الموتىٰ، والعياذ بالله.

فالقبوريون في زماننا هذا أعظم جاهلية وشركًا من مشركي قريش.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «فأشركوا في ربوبية الله، وفي دعاء الله وعبادته، حيث جعلوا ما يضاف إلىٰ المخلوق يضاف إليه تعالىٰ، فصار حقيقة قولهم أن المخلوق تضاف إليه مفعولات الله كلها، ويطلب منه مقدورات الرب كلها».



---

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٠٣).

(٥١) الواجب الإحسان للميت لا أذيته

أذية الرسول ﷺ عظيمة عند الله، لذلك توعَّد الله المؤذين لرسول الله ﷺ باللعنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧، ٥٨].

فالاستغاثة بالرسول ﷺ أذية له، وفاعله مشاق لدعوة التوحيد التي بُعث بها النبي ﷺ، وهذا من المعلوم المتيقن، وسيرته واضحة جلية في ذلك، فلما قيل له: «ما شاء الله وشئت». قال: «**أجعلتني لله ندًّا**»[(١)]. ولما قالوا له: «اجعل لنا ذات أنواط». غضب، وقال: «**الله أكبر! إنها السنن، لقد قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: اجعل لنا إلـهًا كما لهم آلهة**»[(٢)]. فهؤلاء آذوا الرسول، بل وأغضبوا الله أشد الغضب - والعياذ بالله - كما قال النبي ﷺ: «**اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٣)].

وهكذا الصالحون من الموتىٰ الموحدون علىٰ سيرة نبيهم ﷺ، وأمر ربهم لا

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢/ ٤٢٠)، والنسائي في الكبرىٰ (٣/ ١٦٩٢)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢١٨)، والترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء «**لتركبن سنن من كان قبلكم**» (ص ٥٠١ - رقم ٢١٨٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن أبي عاصم في السنة (ص ٣٦ - رقم ٧٦)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مالك في الموطأ (١/ ١٧٢ - رقم ٨٥).

يرضون لأنفسهم بأن يكونوا أندادًا لله، حاشاهم من ذلك، فمن استغاث بقبورهم فقد آذاهم وهو داخل في وعيد قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

فهؤلاء القبوريون عوضًا عن أن يُحسنوا إلىٰ الميت بالدعاء والاستغفار له، ظلموه وآذوه بالدعاء به أو عنده وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «ما أمر به من الصلاة علىٰ الجنائز، ومن زيارة قبور المؤمنين والسلام عليهم والدعاء لهم - هو من باب الإحسان إلىٰ الموتىٰ الذي هو واجب أو مستحب، فإن الله تعالىٰ أمر المسلمين بالصلاة والزكاة، فالصلاة حق الحق في الدنيا والآخرة، والزكاة حق الخلق.

فالرسول ﷺ أمر الناس بالقيام بحقوق الله وحقوق عباده، بأن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئًا.

ومن عبادته: الإحسان إلىٰ الناس حيث أمرهم الله سبحانه به، كالصلاة علىٰ الجنائز، وكزيارة قبور المؤمنين، فاستحوذ الشيطان علىٰ أتباعه فجعل قصدهم بذلك الشرك بالخالق وإيذاء المخلوق، فإنهم إذا كانوا إنما يقصدون بزيارة قبور الأنبياء والصالحين سؤالهم أو السؤال عندهم أو بهم، لا يقصدون السلام عليهم ولا الدعاء لهم كما يقصد بالصلاة علىٰ الجنائز - كانوا بذلك مشركين، وكانوا مؤذين ظالمين لمن يسألونه، وكانوا ظالمين لأنفسهم، وجمعوا بين أنواع الظلم الثلاثة، فالذي شرعه الله ورسوله: توحيد، وعدل، وإحسان، وإخلاص، وصلاح للعباد في المعاش والمعاد، وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١١٨، ١١٩).

فيه شرك، وظلم، وإساءة، وفساد العباد في المعاش والمعاد، فإن الله تعالىٰ أمر المؤمنين بعبادته والإحسان إلىٰ عباده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]».



(٥٢) صلاح العباد في توحيد الله لا في الشرك به

المصلحة التي يذكرها القبوريون في الاستغاثة بالموتىٰ وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله من طلب الذرية والرزق والنصر علىٰ الأعداء زعموا، هي في حقيقتها ضرر للعباد في دينهم ودنياهم، ومعاشهم ومعادهم، فالشرك حرَّمه الله؛ لأنه مفسدة محضة، وأمر الله بالتوحيد؛ لأنه مصلحة محضة لأن به صلاح الناس إذا حققوه في دنياهم وآخرتهم، فدعوة الناس إلىٰ الاستغاثة بالقبور دعوة لخراب الدنيا والآخرة، والعياذ بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «أين التوحيد للخالق بالرغبة إليه، والرجاء له، والتوكل عليه، والحب له، من الإشراك به بالرغبة إلىٰ المخلوق، والرجاء له، والتوكل عليه، وأن يُحب كما يُحب الله؟!

فالرسول ﷺ أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة، ونهىٰ عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها، ولكن الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢]».

فمن يدل الناس إلىٰ سؤال المخلوقين الموتىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٢١).

الحوائج وتفريج الكربات - فهذا مضار للناس غاش لهم، فصلاح الناس بتحقيق التوحيد لله وحده لا شريك له، والافتقار إليه، والرغبة والرهبة إليه وحده لا شريك له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**(١): «أين التوحيد للخالق بالرغبة إليه والرجاء له والتوكل عليه والحب له، من الإشراك به بالرغبة إلىٰ المخلوق والرجاء له والتوكل عليه، وأن يحب كما يحب الله؟!

وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار إليه من فساده في عبودية المخلوق والذل له والافتقار إليه؟!».

فالله عَزَّوَجَلَّ لا يُصلح حال من ينصرف عن الله إلىٰ بشر موتىٰ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فمن أراد صلاح حاله، وكشف ما به من ضر، وطلب الرزق والولد وشفاء الأسقام، فليفتقر إلىٰ الله وليستغفر الله، فإنه من أعظم موجبات الإجابة، أما دعاء غير الله فهو من أعظم موانع الإجابة، ومن أعظم ما يحرم به العبد نفسه من رضا ربه، قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٣].

وقال هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لقومه:** ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

ومن الصلاح والخير الذي يكون مع حفظ إيمان الناس وتوحيدهم - هو أن

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٢١).

من أنزل حاجته بالله، ولم يستغث بمخلوق ميت، وجرّد التوحيد لله وحده لا شريك له - فإنه أولىٰ الناس بشفاعة النبي ﷺ في الدار الآخرة، ومن دعاه دعاءً بدعيًّا أو شركيًّا بعد موته واستغاث بقبره - فإنه أبعد الناس عن شفاعة النبي ﷺ، بل يدعو النبي ﷺ عليهم يوم القيامة ويقول: «**سحقًا لمن غيَّر وبدَّل بعدي**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرسول الله ﷺ: أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»(٢).

وقد دلَّ النبي ﷺ إلىٰ ما يحصل به نفع أمته من إدراك شفاعته بالأمر المشروع، فقال ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلىٰ عليَّ مرة صلىٰ الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة**»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**(٤): «إن طلبه من أمته الدعاء ليس هو طلب حاجة من المخلوق، بل هو تعليم لأمته ما ينتفعون به في دينهم، وبسبب ذلك التعليم والعمل بما علّمهم يعظم الله أجره، فإنا إذا صلينا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ص ١١٣٩ - رقم ٦٥٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص علىٰ الحديث (رقم ٩٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء (ص ١٠٢ - رقم ٦١٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن (ص ١٦٣ - رقم ٨٤٩).

(٤) التوسل والوسيلة، ص (٣٢١).

عليه مرة صلىٰ الله علينا عشرًا، وإذا سألنا الله له الوسيلة، حلّت علينا شفاعته يوم القيامة، وكل ثواب يحصل لنا علىٰ أعمالنا فله مثل أجرنا من غير أن ينقص من أجرنا شيء، فإنه ﷺ قال: «**من دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»[(١)].



(١) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة (ص ١١٦٥ - رقم ٦٨٠٤).

(٥٣) الدعاء بجاه الصالحين ليس سببًا يقتضي إجابة الدعاء

بعض الجهّال يدعو الله بجاه الأنبياء والصالحين، سواء كان قريبًا أو بعيدًا من قبور الأنبياء والصالحين، فيقول مثلًا - والعياذ بالله -: اللهم إني أسألك بجاه محمد ﷺ أن تغفر لي، وترزقني.

وهذا بلا شك جهل وضلالة، ونحن لا نشك في علو جاه النبي ﷺ عند الله، إلا أنه ليس سببًا مقتضيًا لإجابة الدعاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)(١): «قول السائل لله: أسألك بحق فلان وفلان من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم، أو بجاه فلان أو بحرمة فلان. يقتضي أن هؤلاء لهم عند الله جاه، وهذا صحيح، فإن هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة يقتضي أن يرفع الله درجاتهم، ويعظّم أقدارهم، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا، مع أنه سبحانه قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ويقتضي أيضًا أن من اتبعهم واقتدىٰ بهم فيما سنّ له الاقتداء بهم فيه كان سعيدًا، ومن أطاع أمرهم الذي بلغوه عن الله كان سعيدًا، ولكن ليس نفس مجرد قدرهم وجاههم ما يقتضي إجابة دعائه إذا سأل الله بهم حتىٰ يسأل الله بذلك، بل جاههم ينفعه إذا اتبعهم وأطاعهم فيما أمروا به عن الله، أو تأسىٰ بهم فيما سنُّوه للمؤمنين، وينفعه أيضًا إذا دعوا له، وشفعوا فيه.

فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة، ولا منه سبب يقتضي الإجابة، لم يكن

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٤٦).

مستشفعًا بجاههم، ولم يكن سؤاله بجاهه نافعًا له عند الله، بل قد يكون قد سأل بأمر أجنبي عنه ليس سببًا لنفعه».

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «نعم، لو سأل الله بإيمانه بمحمد ﷺ ومحبته له، وطاعته له، واتباعه له، لكان قد سأله بسبب عظيم يقتضي إجابة الدعاء، بل هذا أعظم الأسباب والوسائل.

والنبي ﷺ بيّن أن شفاعته في الآخرة تنفع أهل التوحيد، لا أهل الشرك، وهي مستحقة لمن دعا له بالوسيلة، كما في الصحيح أنه قال: «**إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلَّىٰ عليَّ مرة صلَّىٰ الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت عليه شفاعتي يوم القيامة**»[٢].

وفي الصحيح أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال له**: أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[٣].

فبيّن ﷺ أن أحق الناس بشفاعته يوم القيامة من كان أعظم توحيدًا وإخلاصًا؛ لأن التوحيد جماع الدين، والله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فهو سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا شفع محمد ﷺ حدَّ له ربه حدًّا فيدخله الجنة، وذلك بحسب ما يقوم بقلوبهم من التوحيد والإيمان».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ) في سياق بيان أن الدعاء**

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٤٧).

(٢) سبق تخريجه، ص (١٤٣).

(٣) سبق تخريجه، ص (١٤٣).

بالمخلوق ليس من أسباب إجابة الدعاء[١]: «أثبتوا أسبابًا في خلقه وأمره ونهيه ما أنزل الله بها من سلطان، بل إثباتها مخالف للشرع والعقل، فضلوا في إثبات أسباب لا حقيقة لها».

وقال أيضًا[٢]: «من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سببًا في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله؟ ومن الذي قال: إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر نبيًّا كان أو غير نبي، كان ذلك سببًا في حصول الرزق والنصر والهدىٰ وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله؟

ومن الذي شرع ذلك وأمر به؟

ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين؟».



---

(١) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٠٣).

(٢) الرد علىٰ البكري (١/ ٣٣٠).

(٥٤) الإعراض عن الله وسؤال غيره سوء ظن بالله

من أعرض عن الله ولم يدعه، واستغاث بمخلوق - ما قدر الله حق قدره، فإن من امتلأ قلبه من تعظيم الله والإيمان بكمال أسمائه وصفاته، وأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه - فإنه لا يمكن أن يُعرض عن الله ويستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قال العلامة محمد بن حسين الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن من أعرض عن الله وقصد غيره، وأعدَّ ذلك الغير لحاجته وفاقته، واستغاث به ونذر له، ولاذ به - فقد أساء الظن بربه، وأعظم الذنوب عند الله تعالىٰ إساءة الظن به، فإن المسيء به الظن قد ظنَّ به خلاف كماله المقدس، فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولذا توعد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الظانين به ظن السوء، بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالىٰ لمن أنكر صفة من صفاته: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، وقال تعالىٰ عن خليله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذ قال لقومه: ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٥ - ٨٧]، أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره، وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتىٰ أحوجكم إلىٰ عبودية غيره.

فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، وأنه

---

(١) الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، ص (٢٧٨).

غني عن كل ما سواه، فقير إليه كل ما عداه، وأنه قائم بالقسط علىٰ خلقه، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره. وأنه العالم بتفاصيل الأمور، فلا تخفىٰ عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده لا يحتاج إلىٰ معين، والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلىٰ من يستعطفه - ما اتخذتم الأنداد من دونه والوسطاء بينكم وبينه، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء، فإنهم محتاجون إلىٰ من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم من الوسطاء الذين يعينونهم علىٰ قضاء حوائجهم، وإلىٰ من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلىٰ الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم.

فأما القادر علىٰ كل شيء، الغني بذاته عن كل شيء، العالم بكل شيء، الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقّص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده، وظن به ظنَّ السوء، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفطر، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح».



(٥٥) أقبح الظلم أن يُعطى حق الله لمخلوق

الظلم أنواع: ظلم العبد لنفسه، كما قال تعالىٰ عن ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، **وظلم المخلوق لمخلوق مثله**، كما قال النبي ﷺ: «**مطل الغني ظلم**»، **وظلم العبد فيما بينه وبين ربه** بالشرك به وجعل حقه الخالص لمخلوق مربوب لله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله: «لأن الشرك وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك وضع العبادة في غير موضعها، فصار ظالمًا أعظم الظلم».

قال العلامة محمد الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن العابد معظِّم لمعبوده متأله له، خاضع ذليل له، والرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتأله والخضوع والذل، وهذا في خالص حقه، فمن أقبح الظلم أن يعطي حقه لغيره، ويشرك بينه وبينه فيه، ولا سيما إذا كان الذي جُعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه، كما قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]. أي: إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه كيف تجعلون لي من عبدي شركاء فيما أنا منفرد به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري، ولا تصح لسواي؟! فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظمني حق تعظيمي، ولا أفردني بما أنا منفرد به وحدي دون خلقي».

---

(١) الكشف المبدي لتمويه السبكي، ص (٢٨٠).

(٥٦) تفريج الكربات وابتغاء الرزق يكون بتقوى الله لا بالشرك به

معلوم أن تقوىٰ الله مجلبة للرزق وسبب لتفريج الكربات كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فمن يأمر الناس بالاستغاثة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا ما اتقىٰ الله، ولا أمر الناس بتقوىٰ الله، بل أمرهم بمعصية الله وسخطه، فكان الواجب علىٰ القبوريين أن يأمروا الناس بتوحيد الله فهو أساس تقوىٰ الله، و(لا إله إلا الله) هي كلمة التقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [الفتح: ٢٦]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في قوله: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: «شهادة أن لا إله إلا الله، وهي رأس كل تقوىٰ»[١].

وقال مجاهد[٢]: «كلمة التقوىٰ الإخلاص».

فتقوىٰ الله وتحقيق التوحيد هو سبب تفريج الكربات وجلب الرزق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٣]: «فقد بيَّن أنه كافي من توكل عليه، وأنه لا بد أن يرزق المتقي من حيث لا يحتسب».

فهؤلاء الداعون للاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مضارون للناس في دينهم ودنياهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٤]: «وأما

(١) تفسير ابن كثير، ص (١٢٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير، ص (١٢٧٥).

(٣) الرد علىٰ البكري (١/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٥٤٣، ٥٤٤).

الرزق الذي ضمنه الله لعباده، فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه بأن يمنحه ما يعيش به في الدنيا، ثم يعاقبه في الآخرة، كما قال عن الخليل: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]».

ومن جوامع كلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا يرجُوَنَّ عبدٌ إلا ربه، ولا يخافنّ إلا ذنبه»[١].

فهذا من الكلام الجامع من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن العبد لا يرجو إلا ربه، فيدعو الله رغبة ورهبة، ولا يخاف إلا ذنبه، فبالتوبة يرتفع سخط الله وغضبه، وبالرغبة إلىٰ الله يستجلب الرزق، وهذا كله دال علىٰ أن آل البيت المتقدمين عقيدتهم عقيدة توحيد كسائر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تمامًا، فما كان منهم أحد يُنزل حاجته إلا بالله، ولا يجعل لرغبته ورهبته غير الله عَزَّ وَجَلَّ.



---

(١) نور الاقتباس، ص (٥٢).

(٥٧) الرسل وسائط بين الله وخلقه في تبليغ شرعه لا يتوسل بذواتهم

الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وسائط بين الله وخلقه في تبليغ شرعه، وكذلك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسيط بين الله وخاتم النبيين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالرسول الملكي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والرسول البشري محمد ﷺ - وسائط في تبليغ الشرع، ليس لهم حق الاستغاثة بهم ودعائهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلا الملك المقرب ولا النبي المرسل له حق أي نوع من أنواع العبودية، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[(١)]: «إن الأنبياء وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من خصائص، فلا يشرك بهم، ولا يتوكل عليهم، ولا يُستغاث بهم كما يُستغاث بالله، ولا يُقسم علىٰ الله بهم، ولا يتوسل بذواتهم، وإنما يتوسل بالإيمان بهم، وبمحبتهم، وطاعتهم، وموالاتهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ومعاداة من عاداهم، وطاعتهم فيما أمروا، وتصديقهم فيما أخبروا، وتحليل ما حللوه، وتحريم ما حرموه.

والتوسل بذلك على وجهين:

أحدهما: أن يتوسل بذلك إلىٰ إجابة الدعاء وإعطاء السؤال، كحديث الثلاثة الذين آووا إلىٰ الغار، فإنهم توسلوا بأعمالهم الصالحة؛ ليجيب دعاءهم، ويفرج كربتهم، وقد تقدم بيان ذلك.

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣٠٠، ٣٠١).

والثاني: التوسل بذلك إلىٰ حصول ثواب الله وجنته ورضوانه، فإن الأعمال الصالحة التي أمر بها الرسول ﷺ هي الوسيلة التامة إلىٰ سعادة الدنيا والآخرة، ومثل هذا كقول المؤمنين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فإنهم قدّموا ذكر الإيمان قبل الدعاء، ومثل ذلك ما حكاه الله سبحانه عن المؤمنين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]. وأمثال ذلك كثير».



(٥٨) الله أمر عباده أن يُنزلوا حاجاتهم به لا بخلقه

كل مسلم عاقل سليم الفطرة إذا نزلت به نازلة فإنه ينزل حاجته بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن توافقت فطرته وعقله مع شرع الله وجد أن الله أمر عباده أن ينزلوا حاجاتهم بالخالق القادر لا بالمخلوق.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٩٢هـ)**(١):

«إن الله سبحانه أمر عباده بدعائه، ومسألته، والاستغاثة به، وإنزال حاجتهم وفاقتهم وضرورتهم به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧، ٨]. وفي الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**». وفيه: «**الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين**». وحديث النزول كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، يقول تعالىٰ: «**هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه؟**».

---

(١) منهاج التأسيس في الرد علىٰ داود بن جرجيس، ص (٣٢٥).

وعلىٰ مذهب العراقي - داود بن جرجيس[1] - وقوله باستحباب الاستغاثة بغير الله وجعل الوسائط بين العباد وبينه تعالىٰ: يهدم هذا الأصل الذي هو أصل الدين ويسد بابه، ويستغاث بالأنبياء والصالحين، ويرغب إليهم في حاجات الطالبين والسائلين وضرورات المضطرين من خلق الله أجمعين».



(١) القبوري المردود عليه.



(٥٩) دعوة صريحة لعبادة الحجارة

هؤلاء القبوريون أنساهم الشيطان أنفسهم وأوقعهم في ورطات الشرك، واستخف عقولهم فأطاعوه، فأركسهم فيما هو أقبح وأشر من شرك الجاهلية، فجاءوا يقولون: «لو حسّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه».

فأعتقد الآن وضح الفرق بين عقيدة الموحدين، وشرك القبوريين، فالموحدون عبدوا رب البشر، والقبوريون عبدوا الحجر والشجر، فالموحدون يقولون كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما استلم الحجر الأسود: «أما إني أعلم أنك حجر، لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يستلمك ما استلمتك»[1]. والقبوريون يقولون: «لو حسّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه». ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].



---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الرمل في الحج والعمرة (ص ٢٦٠ - رقم ١٦٠٥).

(٦٠) تبديل الألفاظ لا يُصيّر الشرك توحيداً

العبرة بالحقائق، فهؤلاء القبوريون، يُلبّسون علىٰ العباد ويضلونهم ويزينون لهم الشرك بتسميته «توسلًا» و«تبركًا»، فهؤلاء يأتون إلىٰ قبور الموتىٰ من الأنبياء والأولياء والصالحين، فمنهم من يجعلهم وسائط بينهم وبين الله، يدعون بهم، ومنهم من يدعوهم مباشرة في قضاء حوائجه.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩٢هـ)[١]:

«إن هذا بعينه قول عباد الأنبياء والصالحين من عهد قوم نوح إلىٰ أن بُعث إليهم خاتم النبيين، لم يزيدوا عما قاله العراقي - داود بن جرجيس - فيما انتحلوه من الشرك الوخيم والقول الذميم، كما حكىٰ الله عنهم ذلك في كتابه الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، فهذه النصوص المحكمة صريحة في أن المشركين لم يقصدوا إلا الجاه والشفاعة والتوسل بمعنىٰ جعلهم وسائط تقربهم إلىٰ الله، وتقضي حوائجهم منه تعالىٰ، وقد أنكر القرآن هذا أشد الإنكار، وأخبر أن أهله هم أصحاب النار،

---

(١) منهاج التأسيس، ص (٣٢٤ – ٣٢٥).

وأن الله حرَّم عليهم الجنة دار أوليائه الأبرار، وجمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال لآلهتهم ولا الشركة في توحيد الربوبية، بل قد أقروا واعترفوا بأن ذلك كله لله وحده، كما حكىٰ سبحانه إقرارهم واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه.

فحاصل ما ذكره العراقي - داود بن جرجيس - من جواز الاستغاثة والدعاء والتعظيم بالنذر والحلف، مع نفي الاستقلال وأن الله يفعل لأجله - هو عين دعوىٰ المشركين، وتعليلهم، وشبهتهم، لم يزيدوا عليه حرفًا واحدًا، إلَّا أنهم قالوا: «قربان»، و«شفعاء»، والعراقي - داود بن جرجيس - سمىٰ ذلك توسلًا، فالعلة واحدة والحقيقة متحدة».

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الاعتبار بالحقائق والمعنىٰ لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم وإنما نتبرك بهم. لم ينفعهم ذلك، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يُسموا ذلك عبادة، بل سموه توسلًا أو تبركًا، فالتعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين، والذبح لهم أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم - كل ذلك عبادة ولو سموها خدمة، أو سموها غير ذلك؛ لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء كما تقدم.

ومن هذا القبيل قول الجماعة الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلىٰ حنين لمّا رأوا المشركين يعلقون أسلحتهم علىٰ سدرة، قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر! قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ البازية (٣/ ١٣٩).

فجعل المقالة واحدة، مع أن هؤلاء قالوا: اجعل لنا ذات أنواط. فجعل قولهم مثل قول بني إسرائيل؛ لأن العبرة بالمعنىٰ والحقائق لا بالألفاظ».



(٦١) النبي ﷺ في أعظم الشدائد ما استغاث إلا بالله

سيرة النبي ﷺ كلها واضحة المعالم، في السراء والضراء، ما كان ينزل حاجته إلا بالله وحده لا شريك له، وانظر إلىٰ أعظم الشدائد التي نزلت به في غزوة بدر وأُحُد والأحزاب وحنين ما استغاث إلا بالله.

وانظر إلىٰ حاله وهو يودّع أصحابه وأمته يُحذّرهم من التعلق بموتىٰ الأنبياء والصالحين كما فعلت اليهود والنصارىٰ، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ: «لما نزل به طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال - وهو كذلك -: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»[(١)].

وكل مفردة في سيرة النبي ﷺ وحياته ومقاماته توحيد لله عَزَّوَجَلَّ واستغاثة به وحده لا شريك له، يعرف ذلك كل من له أدنىٰ معرفة بالنبي ﷺ وأحواله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وهكذا النبيون عليهم السلام، وهل يتصور فيهم غير ذلك، وهم الذين بُعثوا ليعلموا الناس التوحيد الخالص.

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه البخاري (رقم ١٣٣٠)، ومسلم (رقم ١١٨٤).

(٦٢) القبوريون استدلوا بنقيض ما دل عليه القرآن على بدعهم وضلالهم

من أعجب العجائب ما ذهب إليه المبتدعة القبوريون، حيث عمدوا إلىٰ آيات القرآن الدالة علىٰ تجريد التوحيد فاستدلوا بنقيضها علىٰ تقرير الشرك، والعياذ بالله!!

وهذا لا يكون إلا مع الجهل وسوء القصد، فجاءوا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧]، واستدلوا به علىٰ جواز التوسل والاستشفاع بذوات الصالحين، والعياذ بالله.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٢٩٢)**[(١)]:

«فانظر هذه الآية الكريمة[(٢)] وما دلَّت عليه وما سيقت له، وانظر حقيقة دعوىٰ العراقي - داود بن جرجيس - وما يفعله الغلاة في الأولياء والصالحين، تعرف أنه استدل بالآية الكريمة التي هي نص علىٰ إبطال دعاء الصالحين ومسألتهم وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذبح والنذر لهم، علىٰ إبطال دعواه أيضًا في التوسل الشركي بالصالحين، ودعائهم ومسألتهم، وبهذا تعرف أنه مشاق لله ورسوله، ويستدل بالآية الكريمة علىٰ نقيض ما دلت عليه، ويفهم منها عكس ما

---

(١) منهاج التأسيس، ص (٣٥١).

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

دعت إليه، وهكذا حال القلوب المنكوسة تتصور الأشياء علىٰ خلاف ما هي عليه.

وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية علىٰ إبطال التوسل الشركي الذي هو دعاء الصالحين، والعراقي - داود بن جرجيس - استدل بها علىٰ جوازه واستحبابه، فبعدًا للقوم الظالمين».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**(١): «فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغىٰ إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه - هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات.

فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك، سواء كان محرمًا أو مكروهًا أو مباحًا.

فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول، فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ.

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلىٰ ذلك إلا ذلك».

وآية الوسيلة لا يمكن أن تدل إلا علىٰ تجريد التوحيد والرغبة والرهبة لله لا للمخلوق، والقرآن يُفسر بعضه بعضًا، فإذا ضممت إليها الآيات الدالة صراحة علىٰ أن كل من سوىٰ الله لا يملك لكائن من كان مثقال ذرة من نفع أو ضر

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (١٢٥، ١٢٦).

- تيقنت أن الوسيلة الشرعية التي أمر الله بها هي التوسل إلىٰ الله بأعمالنا الصالحة من صلاة وصيام وصدقة نتقرب بها إلىٰ الله لتقربنا إليه زلفىٰ، فيرحمنا في الدنيا، ويفرج كرباتنا، ويرزقنا وينصرنا، ويعفو عنا في الآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

وسبب نزول آية الوسيلة وألفاظها كلها دالة دلالة صريحة علىٰ أن الوسيلة الشرعية المرادة بالآية هي تحقيق التوحيد لله ودعاؤه وحده لا شريك له، والرغبة إليه بالأعمال الصالحة، لا باتخاذ المخلوقين وسائط بين الله وخلقه.

فسبب نزول الآية كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧][(١)].

وألفاظ الآية نفسها كلها دالة علىٰ أن من سوىٰ الله لا يملك جلب المنفعة ولا دفع المضرة، وهذا تجده صريحًا في أول الآية: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]، وكذلك خاتمة الآية، حيث ذكر الله أن المدعوين من المخلوقين أنفسهم يرغبون إلىٰ الله في كشف الضر وتحويله.

---

(١) رواه مسلم، كتاب التفسير، باب في قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ (ص ١٣١٠ - رقم ٧٥٥٥).

فالمبتدعة أرادوها وسيلة بدعية شركية، وهي التوسل بذوات الصالحين وجاههم والدعاء بهم، والعياذ بالله.

واستدل المبتدعة لدعوتهم التوسل بجاه وذوات الأنبياء والصالحين بأحاديث ضعيفة وموضوعة ومكذوبة، من ذلك ما ذكره بعض الجهّال عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**(١): «هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث».

ثم ذكر شيخ الإسلام منزلة جاه نبينا ﷺ، وأنه أعظم من جاه جميع النبيين والمرسلين جميعًا، وقد أخبر سبحانه عن موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام أنهما وجيهان عند الله، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، فإذا كان موسىٰ وعيسىٰ وجيهين عند الله عَزَّوَجَلَّ فكيف بسيد ولد آدم؟!

ولكن جاه المخلوق عند الخالق تعالىٰ ليس كجاه المخلوق عند المخلوق، فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه، فهو شريك له في حصول المطلوب، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبأ: ٢٣]،

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣١٢).

ولقد علم الصحابة أن التوسل به، إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته وموالاته، أو التوسل بدعائه وشفاعته، فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا[١].



(١) التوسل والوسيلة، ص (٣١٢ - ٣١٦) باختصار.



(٦٣) إملاء من الله لا دليل رضا

القبوريون يفرحون لو قضيت حاجة أحدهم باستغاثتهم بغير الله، ولا ينظرون هل هذا الفرح شرعي أم لا؟ ولا ينظرون في مشاقتهم ومحادتهم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، شأنهم شأن الكفار الذين يفرحون بما يُبسط لهم من الدنيا وهم مقيمون علىٰ كفرهم بالله وشركهم به، قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

فما حرّمه الله لو تحقق قضاء حاجة المخلوق به، فإنه حرام ولا يدل علىٰ رضا الله عن المخلوق، بل إملاء لا يدري العبد ما يدخل عليه من الشرور بسببه إذا لم يتب منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «والأصل في المعاصي أنها لا تكون سببًا لنعمة الله ورحمته، والإباحة من نعمة الله ورحمته، وإن كانت قد تكون سببًا للإملاء، ولفتح أبواب الدنيا، لكن ذلك قدر ليس بشرع، بل قد تكون سببًا لعقوبة الله».



(١) القواعد النورانية (٢/ ٤٧٩، ٤٨٠).

(٦٤) إذا لم يشرع دعاء الملائكة لم يشرع دعاء الموتى من الأنبياء والصالحين

الملائكة متمحضون في الطاعة لله وحده لا شريك له، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد نهىٰ الله عن دعاء الملائكة والاستغاثة بهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «وإذا لم يشرع دعاء الملائكة، لم يشرع دعاء من مات من الأنبياء والصالحين، ولا أن نطلب منهم الدعاء والشفاعة».

فمن هذا الذي هو فوق الملائكة والنبيين حتىٰ يستغاث بذاته؟!!



(١) التوسل والوسيلة، ص (٩٦).

(٦٥) لا يمكن أن تكون الوسيلة المشروعة ممنوعة عن الخلق أجمعين

النبي ﷺ أوصىٰ أن يُدفن في بيته في حجرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وهو بهذا يكون محجوبًا عن الاستغاثة به من الخلق أجمعين، وهذا كافٍ في الدلالة علىٰ أن الاستغاثة بالنبي ﷺ وهو سيد الصالحين غير مشروعة، وغيره من باب أولىٰ.

وكذلك هي دالة علىٰ قصد النبي ﷺ حماية جناب التوحيد، وفعل الأسباب التي تمنع من الغلو في قبره ﷺ وذاته بعد موته، وهو من أسباب حفظ إيمان الناس وأديانهم، فمنذ وفاة النبي ﷺ وقبره مصون في بيت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لا يصل إليه أحد، ولا يدخل إليه أحد، فدل هذا دلالة واضحة علىٰ أن الاستغاثة بالموتىٰ غير مشروعة أبدًا.

ولو كانت الاستغاثة بقبر النبي ﷺ مشروعة، لرأينا الناس يزدحمون عند باب عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كل لحظة، فما أكثر الخلق، وما أكثر حاجاتهم ومسائلهم، وما ينزل بهم من المقادير! وكل هذا لم يقع؛ لأن الصحابة موحدون، ونبيهم ﷺ علَّمهم اللجأ إلىٰ الله لا إلىٰ البشر، والله أرشد نبيه ﷺ أن يُعلّمهم الفرق بين مقام الربوبية ومقام النبوة البشرية، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

❋ ❋ ❋

(٦٦) لا يدعو النبي ﷺ بمنع ما يكون خيرًا لأمته

النبي ﷺ بأمته رءوف رحيم كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فهو صلوات الله وسلامه عليه يُحب لهم كل خير، ولا يمكن أن تكون الاستغاثة بقبره - صلوات الله وسلامه عليه - من أسباب الخير، ويحجب النبي ﷺ الناس عن الوصول إليه، بل ويدعو ربه أن لا يجعل قبره عيدًا، ومعلوم أن كل مخلوق سيعود إلىٰ قبر النبي ﷺ يستغيث به كلما نزلت به نازلة، فلا يمكن أن تكون الاستغاثة بقبره مشروعة، ويدعو النبي ﷺ بمنع عودة الناس إلىٰ قبره، حيث قال ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[١]. والعيد اسم لما يعود ويتكرر. وقال أيضًا صلوات الله وسلامه عليه: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود كتاب المناسك، باب زيارة القبور (ص ٢٩٥ - رقم ٢٠٤٢).

(٢) رواه مالك في كتاب قصر الصلاة في السفر (١/ ١٧٢ - رقم ٨٥).

(٦٧) الوسيلة المشروعة لا يجتمع الصحابة على منعها

فمع ما هو معلوم من سيرة الصحابة من إنزال حاجاتهم بالله، ودعائه وحده لا شريك له، والاستغاثة به في السراء والضراء دائمًا، فإنهم فوق هذا أجمعوا علىٰ منع الخلق من الاستغاثة والوصول إلىٰ ذوات الأنبياء والصالحين الموتىٰ، وهذا دال دلالة واضحة صريحة علىٰ تحريم الاستغاثة بموتىٰ الأنبياء والصالحين.

فإنه لما فتح الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ (تُسْتَرَ) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجدوا في مال بيت الهرمزان سريرًا لنبي ميت صالح - دانيال -، وكان أهل تستر يستسقون بسريره إذا قُحطوا، فحفر الصحابة بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان الليل دفنوه، وسوّوا القبور كلها، ليعمّوه علىٰ الناس فلا ينبشونه[(١)].

فهذا هدي أهل التوحيد صحابة رسول الله ﷺ، منعوا الناس من قصد قبور وذوات الصالحين، وما ذاك إلا لحماية جناب التوحيد.

فتُرىٰ ماذا يقول القبوريون في صنيع الصحابة الموحدين؟! كأني بجهلتهم يقولون: «وهابية، جفاة»!!

ونحن نقول كما قال الله فيهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، ونقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٧٧).

وهكذا فعل الصحابة في قبر النبي ﷺ جعلوه في حجرة، ولم يجعلوا لحجرته بابًا؛ لئلا يلج إليه الناس فيغلوا في قبره ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «ولو كان للأعمال عند القبر فضيلة لَفتح للمسلمين باب الحجرة، فلما منعوا من الوصول إلىٰ القبر، وأُمروا بالعبادة في المسجد - عُلم أن فضيلة العمل فيه؛ لكونه في مسجده، كما أن صلاة في مسجده بألف صلاة فيما سواه، ولم يأمر قط بأن يقصد بعمل صالح أن يفعل عند قبره ﷺ».



(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٦٨) إحالة حوائج الناس إلى مخلوق ميت إحالة إلى مستحيل

فرق ما بين الخالق والمخلوق لا يشتبه علىٰ أحد من الخلق أبدًا إلا القبوريين، فالمخلوق الميت أصلًا لا يسمع، وهذا فصل ما بين الحي والميت، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠][١]، ولو سمعوا ما نفعوهم ولا استجابوا لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

والمخلوق الميت محصور بزمان ومكان محددين، ولو فرضنا جدلًا أنه يسمع ويقضي حاجة من يسمعه وهذا مستحيل؛ لأنه من خصائص ربوبية الله - فإن سمع المخلوق الحي فضلًا عن الميت لا يتجاوز من حضره، فالمخلوق لا يسمع من غاب عنه، ولا يسمع من هو خارج عن محيط قبره، أما الله جَلَّجَلَالُهُ، فوسع سمعه الأصوات، لا تخفىٰ عليه حاجة أحد من خلقه في مشارق الأرض ومغاربها، فصرف الناس عن إنزال حاجاتهم بالله إلىٰ إنزالها بمخلوق ميت - إحالة إلىٰ عجز، وتضييع للخلق، وهذا من المضارة بالخلق في دينهم ودنياهم.

فالخلق في كل لحظة في أقطار السموات والأرض في حاجة إلىٰ رزق أو نصرة أو كفاية أو تفريج كربة، فمن المستحيل أن يحيط بعلم ذلك ميت مقبور في مكان

---

(١) إلا ما خصه الدليل كسماع الميت حين دفنه لقرع نعال من شيَّعه، وكسماع قتلىٰ بدر من المشركين لمّا خاطبهم النبي ﷺ.

محدد، فضلًا عن أن يمكنه أن يغيثهم، فإحالة الخلق إلىٰ مخلوق بشر مثلهم بل وميت إحالة إلىٰ مستحيل!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «وأما في إجابة الدعاء، وكشف البلاء، والهداية، والإغناء، فالله تعالىٰ هو الذي يسمع كلامهم، ويرىٰ مكانهم، ويعلم سرهم ونجواهم، وهو سبحانه قادر علىٰ إنزال النعم، وإزالة الضر والسقم، من غير احتياج منه إلىٰ أن يعرِّفه أحد أحوال عباده، أو يعينه علىٰ قضاء حوائجهم.

والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها، فهو مسبب الأسباب، وهو الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يُولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فأهل السموات يسألونه، وأهل الأرض يسألونه، وهو سبحانه لا يشغله سمع كلام هذا عن سمع كلام هذا، ولا يغلطه اختلاف أصواتهم ولغاتهم، بل يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، علىٰ تفنن الحاجات، ولا يبرمه إلحاح الملحين، بل يحبُّ الإلحاح في الدعاء».



---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣٦٦).

(٦٩) مقصود الدعاء والصلاة والعبادات كلها تحقيق التوحيد، فأي فعل يخرجه عن هذا المقصود يعود عليه بالإفساد

مقصود خلق الخلق جميعًا عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومقصود تكليف الخلق بالعبادات هو تحقيق ألوهيتهم وعبوديتهم لله وحده لا شريك له، لذلك قال النبي ﷺ معللًا اجتهاده في قيام الليل والعبادة عمومًا: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(١).

وهكذا كل عبادة يأتي بها العبد لم يأذن بها الشرع فهي مردودة ممنوعة، فإذا انضم إلىٰ فعلها ما يخل بجناب التوحيد، دل هذا علىٰ أن الشرع لا يمكن أن يأذن به؛ لأن هذا إخلال بمقصود تشريع العبادات وهو توحيد الله، وأوضح دليل علىٰ ذلك وأبينه حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببُوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم**»؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»(٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (ص ٨٥٦ – رقم ٤٨٣٧)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال (ص ١٢٢٧ – رقم ٧١٢٦).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من وفاء النذر (ص ٤٨٠ – رقم ٣٣١٣)، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم، كل رجاله أئمة مجمع علىٰ عدالتهم». البدر المنير (٩/ ٥١٨).

(٧٠) مضى الدليل فيمن قبلنا بمضرة وتحريم الاستغاثة بالقبور

البعض يريد منا أن نُجرّب الاستغاثة بالقبور؛ لنُحصّل ما يعدنا ويمنينا هؤلاء من قضاء الحوائج، وبسطة الرزق، وتفريج الكربات، والظهور علىٰ الأعداء، وهذا لا شك أنه جهالة وضلالة، وتقهقر، فنحن مأمورون بأخذ العظة ممن سبقنا، وأخذ العبرة مما أصاب من قبلنا خصوصًا من المهلكات، فلا نبدأ من الصفر، وكأنه لا تاريخ للبشرية قبلنا، بل جاءت شريعتنا بالتحذير من مشابهة أهل الضلال.

وقد ذكر لنا النبي ﷺ ما مضىٰ من العبرة والعظة والهلكة فيمن سبقنا فيما أصابهم بسبب استغاثتهم بأنبيائهم وصالحيهم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال - وهو كذلك -: **لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.** يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا»(١).

فالسعيد من وُعظ بغيره، فالتجربة واضحة فيمن قبلنا، قصدوا القبور بالدعاء أو الصلاة عندها فأصابتهم لعنة الله، ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾.

[النساء: ٥٢]

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يُكره من اتخاذ المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٢ - رقم ١١٣٠)، ومسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٥ - رقم ١١٨١).

وصدق **الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ **حيث قال**: «إن الناس لم يُحدثوا بدعة إلا وقد مضىٰ قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها»[١].



(١) الاعتصام (١/ ٦٣).

(٧١) لو كانت قبور الأنبياء غياث المستغيثين لحُفظت

حاجة الناس إلىٰ من ينصرهم، ويرزقهم، ويكلؤهم، ويفرّج كربتهم، ويدفع عنهم السوء، ويجلب لهم الخير - معلومة، ولا ينفك الخلق في كل لحظة عن حاجة، وإغاثة، فالله هو الحفيظ المغيث وحده لا شريك له، وقبور الأنبياء ليست كذلك قطعًا؛ إذ لو كانت الاستغاثة بها هي الغياث، لحفظت قبور الأنبياء عليهم السلام جميعًا من لدن آدم إلىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولتوارث الناس الدلالة إليها، ولحفظ الله علىٰ الخلق أسباب رزقهم ونفعهم، فما كان الله ليضيع خلقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «ولهذا لمّا لم يكن بناء المساجد علىٰ القبور - التي تُسمىٰ «المشاهد» - وتعظيمها من دين المسلمين، بل من دين المشركين - لم يحفظ ذلك، فإن الله ضمن لنا أن يحفظ الذكر الذي أنزله كما قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة محفوظ، وأما أمر المشاهد فغير محفوظ، بل عامة القبور التي بُنيت عليها المساجد، إما مشكوك فيها، وإما متيقن كذبها، مثل القبر الذي بكرك الذي يقال: إن به نوحًا. والذي بظاهر دمشق الذي يُقال: إنه قبر أبي بن كعب. والذي من الناحية الأخرىٰ، الذي يُقال: إنه قبر أويس القرني. والقبور التي هناك التي يظن أنها قبر عائشة أو أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ - زوج النبي ﷺ أو أم حبيبة، أو قبر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي بباطنة النجف، أو المشهد الذي يقال: إنه علىٰ الحسين

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٦٩، ١٧٠).

بالقاهرة. والمشهد الذي بحلب، وأمثال هذه المشاهد، فهذه كلها كذب باتفاق أهل العلم.

وأما القبر الذي يقال: إنه قبر خالد بن الوليد بحمص. والذي يقال: إنه قبر أبي مسلم الخولاني بداريا، وأمثال ذلك - فهذه مشكوك فيها، وقد نعلم من حيث الجملة أن الميت قد تُوفي بأرض، ولكن لا يتعيّن أن تلك البقعة مكان قبره، كقبر بلال ونحوه بظاهر دمشق، وكقبر فاطمة بالمدينة، وأمثال ذلك».



(٧٢) تجارب القبوريين
من جنس مكاشفاتهم ووجدهم، فاحذروها

شطط القبوريين لا ينتهي، وخروجهم عن مقتضىٰ الشرع وعصمة الوحي ألوان وأشكال، فتارة بذوقهم زعموا، وتارة بما يقع في قلوبهم مما تفيضه عليهم عقولهم من هواجس جعلوها بمنزلة الوحي، بل أعظم وأقوىٰ، وأدوم عندهم؛ لأنه بلا واسطة، بخلاف ما يوحىٰ لنبينا ﷺ فإنه بواسطة جبريل، والآن يريدون تقرير شرك المستغيثين بغير الله بالتجربة، وأي تجربة؟!

وهذا أمير المؤمنين المحدّث الملهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنص النبي ﷺ، حيث قال عنه: «**إن يكن في أمتي محدّثون فعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[(١)]، ما كان يخرج عن مقتضىٰ الشرع وأدلته قيد أنملة، ولا كان يأذن لأحد بذلك، بل كان يُعزر من يفعل ذلك أشد التعزير، كما فعل بعبد الله بن صبيغ وغيره، وكان يستسقي بدعاء العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يذهب إلىٰ قبر النبي ﷺ ولا يستغيث به ولا أصحابه.

فكيف يريد القبوريون أن يُخرجوا الناس من عصمة الوحي إلىٰ ضلال تجاربهم؟!!

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ٦٢٠ – رقم ٣٦٨٩).

(٧٣) عموم رسالة النبي ﷺ للمكلفين يمنع أن يخرج أحد عن مقتضاها للتجربة

معلوم أن النبي ﷺ أُرسل للناس كافة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

فكل مكلف مأمور بلزوم الشرع الذي حرّم الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يجوز لأحد أن يخرج عن مقتضىٰ الشرع للتجربة.

فلذلك يجب علىٰ جميع المكلفين تحقيق التوحيد، والرغبة والرهبة إلىٰ الله وحده لا شريك له، وإنزال حاجاتهم بالله، فهو الذي يملك كشف الضر وتحويله، وهو الرزاق ذو القوة المتين. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].



(٧٤) جعلوا الإله الواحد آلهة متعددة

هؤلاء القبوريون ما أنزلوا حاجاتهم بالله، فإذا نزلت بأحدهم حاجة وألجأته ضرورة - استغاث بقبر الولي والصالح الذي يرغب ويرهب إليه، وكل قوم وفرقة لهم وليٌّ يرغبون ويرهبون إليه يستغيثون به - والعياذ بالله - فيما لا يقدر عليه إلا الله، ففي مصر لهم قبور، وفي العراق لهم قبور، وفي سوريا، والهند، وباكستان، وهكذا، والعياذ بالله.

قال الوالد العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله[1]: «وهذا من قبح الشرك أن أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحّدين، فإن معبودهم واحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]، فمن سلبيات الشرك وأباطيله: أن أهله متفرّقون في عباداتهم لا يجمعهم ضابط؛ لأنهم لا يسيرون على أصل، وإنما يسيرون على أهوائهم ودعايات المضللين، فتكثر تفرقاتهم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح القواعد الأربع، ص (٣٤٤)، مطبوع ضمن سلسلة شرح الرسائل.



(٧٥) إحالة الناس إلى التجارب قدح في تبليغ النبي ﷺ

لسان حال المبتدعة - وهم يحيلون الناس إلىٰ تجاربهم مقطوعة عن حكم الله وشرعه، خصوصًا في آكد المهمات وأوجب الواجبات وهو توحيد الله - القدح في تبليغ النبي ﷺ، وكأنه لم يبلغ البلاغ المبين حتىٰ أرادنا هؤلاء المبتدعة أن ننتهي إلىٰ تجاربهم، ونعرض عن بيان رسولنا الكريم ﷺ، وفي ماذا؟! في أصل ومقصود تبليغ الرسالة وهو توحيد الله، وبيان حقه الخالص، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]».

فالقبوريون في الحقيقة يزعمون أن محمدًا ﷺ خان الرسالة في أصلها ومقصودها، ولم يبيّن للناس حقيقة التوحيد، ويريدون من الخلق أن يرجعوا إلىٰ بيانهم وهو أغلوطات محضة لا إلىٰ بيان الشريعة.



---

(١) الاعتصام (١/ ٦٥).

(٧٦) معارضة الشرع المعلوم بالتجارب تغيير للدين

الشرع هدًىٰ ونور، والله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن هدًىٰ ورحمة للعالمين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]، والله يعصمنا بهذا الوحي، فالعدول عن الشريعة لتجارب القبوريين تغيير للدين وإضلال للخلق أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «اعلم أنه ليس مع أحد من هؤلاء ما يعارض به ذلك، إلا حكاية عن بعضهم أنه قال: إذا كانت لكم إلىٰ الله حاجة، فادعوه عند قبري. أو: قبر فلان هو الترياق المجرب. وأمثال ذلك من هذه الحكايات التي قد تكون صدقًا[(٢)]، وقد تكون كذبًا، وبتقدير أن تكون صدقًا، فإن قائلها غير معصوم، وما يعارض النقل الثابت عن المعصوم بنقل غير ثابت عن غير معصوم إلا من يكون من الضالين، إخوان الشياطين، وهذا من أسباب الشرك، وتغيير الدين».



(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٧١).

(٢) أي: صحيحة لمن نُقلت عنه.

(٧٧) تجارب المشركين مقرونة بالكذب المبين

هؤلاء القبوريون الذين يجتذبون الناس إلىٰ الشرك بدعوىٰ ما يحصل لهم من قضاء حاجاتهم أكثره من الكذب المبين، فإن الشرك والكذب قرينان، فأول كذبهم هو في خضوعهم ورغبتهم واستغاثتهم بغير الله، فكذبوا في جعل حق الله الخالص لمخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ثم إن كثيرًا من حكاياتهم بقضاء حاجاتهم كذب، وإلا لو كانوا صادقين ما احتاجوا إلىٰ اتخاذ السدنة عند القبور؛ ليحتالوا علىٰ أكل أموال الناس بالباطل، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]. فلو كانوا صادقين في قضاء حوائجهم لاستغنوا بما يُرزقون بقضاء حوائجهم التي يزعمون باستغاثتهم بالصالحين عن أكل أموال عوام المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «إن هذا الباب يكثر فيه الكذب جدًّا، فإنه لما كان الكذب مقرونًا بالشرك كما دل عليه القرآن في غير موضع، والصدق مقرونًا بالإخلاص، فالمؤمنون أهل صدق وإخلاص، والكفار أهل كذب وشرك، وكان في هذه المشاهد من الشرك ما فيها، اقترن بها الكذب من وجوه متعددة، منها:

الأول: دعوىٰ أن هذا قبر فلان المعظم أو رأسه، ففي ذلك كذب كثير.

والثاني: الإخبار عن أحواله بأمور يكثر فيها الكذب.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٧٣).

والثالث: الإخبار بما يقضىٰ عنده من الحاجات، فما أكثر ما يحتال المعظمون للقبر بحيل يُلبسون علىٰ الناس أنه حصل به خرق عادة، أو قضاء حاجة، وما أكثر من يُخبر بما لا حقيقة له، وقد رأينا من ذلك أمورًا كثيرة جدًّا».



(٧٨) إجابة الدعاء قد يكون عن الاجتهاد في الدعاء لا بسبب القبر

دعوىٰ القبوريين أنه يستجاب لهم لاستغاثتهم بالموتىٰ - بينَّا ما فيها من المغالطات، فقد يستجاب لهم عند القبر لا بسبب القبر ولكن موافقة لقدر الله، ناهيك أنه لا يستجاب لهم مرات عديدة وكرَّات كثيرة، فيتكتمون ذلك، عوضًا عن أن تعيين سبب إجابة الدعاء بالاستغاثة بالموتىٰ تألٍّ علىٰ الله، وضرب من الرجم بالغيب كذبًا علىٰ الله بما دل شرعه علىٰ أنه هو من الاعتداء في الدعاء، وبعض الجهّال المضللين من أحبار السوء أو المقلدين لغيرهم ربما يكون اجتهد في دعائه فوافق ساعة إجابة، لو قام بذلك الاجتهاد في غير المقبرة ربما استجيب له، مما يدل علىٰ عدم خصوصية المقبرة بإجابة الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «تلك الحاجة إما أن تكون قد قضيت بغير دعائه، وإما أن تكون قضيت بدعائه، فإن كان الأول فلا كلام، وإن كان الثاني فيكون قد اجتهد في الدعاء اجتهادًا لو اجتهده في غير تلك البقعة أو عند الصليب لقضيت حاجته، فالسبب هو اجتهاده في الدعاء، لا خصوص القبر».



(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٧٦، ١٧٧).

(٧٩) قصد غير الله للاستغاثة انتقاص لله

حوار الموحدين للمشركين واضح، وفيه عظة وبيان لأشباههم في كل زمان، لعلهم ينتهون عن شركهم، ويرجعون إلىٰ بارئهم فيوحدونه ويعبدونه، ويرغبونه ويرهبونه، وتأله قلوبهم وحده محبةً وتعظيمًا وإجلالًا، قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يحاور أباه فيمن يستحق العبادة: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، فالله عَزَّوَجَلَّ وحده هو المتّصف بصفات الكمال، مما يوجب علىٰ كل عاقل أن يألهه وحده لا شريك له، وأن ينزل به حاجاته، وأن يسأله جلب المنفعة ودفع المضرة، وأن يسأله كشف الضر وتحويله، فما ينصرف عن الله المتصف بصفات الكمال المطلق إلىٰ مخلوق ميت إلا من لا يعرف نعوت الله أو من لا يعرف إحسان الله إلىٰ خلقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه، فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد، وهما إثبات صفات الكمال ردًّا علىٰ أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو ردًّا علىٰ المشركين».

وقال أيضًا[٢]: «والحمد نوعان: حمد علىٰ إحسانه إلىٰ عباده، وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كمال، وهذا الحمد لا يكون إلا علىٰ ما هو في

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٨٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٨٤).

نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال، وهي أمور وجودية، فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها، ولا خير ولا كمال.

ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد علىٰ ما له من صفات الكمال، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت أنه المستحق للمحامد الكاملة، وهو أحق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب».



(٨٠) الاستغاثة بالقبور تسوية بين عبادة الرحمن وعبادة الأوثان

من سأل المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله من الرزق والنصرة وتفريج الكربة - فهذا سوّىٰ بين عبادة الله وبين عبادة الأوثان، فإن هؤلاء يتوسلون بقبور الأولياء والصالحين لقضاء حوائجهم تمامًا، كما كان يفعل عباد الأوثان في الجاهلية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ) في سياق رده علىٰ من جوّز الاستغاثة بالقبور وشد الرحال إليها**[١]: «وفي هذا الكلام من الجهل بالشريعة، وما أجمع عليه المسلمون، والتسوية بين عبادة الرحمن التي أجمع عليها أهل الإيمان، وبين عبادة الأوثان التي أجمعوا علىٰ تحريمها وغير ذلك - مما يبين اشتمال هذا الكلام علىٰ أنواع من مخالفة دين الإسلام، ولو كان صاحبه ممن يفهم ما قال ولوازمه - لكان مرتدًّا يجب قتله، لكنه جاهل قد يتكلم بما لا يتصوره ولا يتصور لوازمه».



(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٢٤٤).

(٨١) القيام بحق الله
ينفي الحرج ولا يمنع طريقًا شرعيًّا لقضاء الحوائج

الكل يعرف أن حق الله هو توحيده وهو أوجب الواجبات، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أتدري ما حق الله علىٰ العباد؟ وما حق العباد علىٰ الله؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله علىٰ العباد: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحق العباد علىٰ الله: أن لا يُعذّب من لا يشرك به شيئًا**»(١).

وحق الله مقدم علىٰ كل شيء لا يمكن أن يزاحمه حاجة مخلوق واضطراره.

فكل ما يحتاجه المخلوق من رزق ونصر وتفريج كربة - فقد جعل الله له الوسائل الشرعية لتحصيله، فلا يجوز لأحد أن يضيّع حق الله لحاجات مخلوق يريد أن يعدل عن الوسائل المشروعة في تحصيلها إلىٰ وسائل غير مشروعة فيها من الشر أضعاف ما نزل بالمخلوق من الشر، وصدق الله إذ يقول: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦].

وهؤلاء الجهال إنما أُتوا من قبل جهلهم وفساد إيمانهم وتوحيدهم، وإلا فكل عاقل يعرف أن الأمر العظيم يحتاج إلىٰ عظيم، والله هو العلي العظيم، وقد زين الشيطان لهؤلاء أعمالهم وألقىٰ في قلوبهم أنهم عصاة مذنبون فمثلهم لا يستجاب له، فنقلهم الشيطان من شر الذنب إلىٰ شَرَك الشرك الذي لا يقبل معه عمل، ولو أحسنوا الظن بربهم واستحضروا إحسانه للكافر فضلًا عن المؤمن، والتقي، والعاصي، وآمنوا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار (ص ٤٧٢ - رقم ٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا (ص ٣٦ - رقم ١٤٣).

بمعاني وحقائق أسمائه: الودود، المنان، الرحمن، الرحيم - لأنزلوا حاجاتهم بالله، ولما استشفعوا بوسائل بدعية وشركية، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**». وفي رواية لمسلم: «**وليعظِّم الرَّغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»[١].

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله سبحانه أجاب دعاء شر الخلق إبليس».

ونقول للمؤمنين: احفظوا توحيدكم وضمّنوا دعاءكم الاستغفار؛ لتدفعوا موجب عدم إجابته، فإن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. فقال النبي ﷺ: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[٤]: «فهذا فيه وصف ربه الذي يوجب أنه لا يقدر علىٰ هذا المطلوب غيره، وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه، وفيه بيان المقتضي للإجابة وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة، فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب».

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (ص ١٢٨٨ - رقم ٧٦٤٧٧)، ورواه مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء (ص ١١٦٧ - رقم ٦٨١٣).

(٢) الدعاء المأثور، ص (٢٩، ٣٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (ص ١٢٧١ - رقم ٧٣٨٧)، ومسلم:كتاب الذكر والدعاء، باب الدعوات والتعوذ (ص ١١٧٥ - رقم ٦٨٦٩).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٤٧).

(٨٢) رزقنا في السماء وليس في قبور الموتى

كل مسلم في عقيدته الواضحة الصافية النقية أن رزقه في السماء عند رب الأرباب، الرزاق الوهّاب، وكلهم يعتقد اعتقادًا جازمًا بمقتضىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فالممسوخ الذي لا يرفع يديه إلىٰ السماء، ثم يذهب إلىٰ قبر ميت ويسأله الرزق.

والبهائم والحشرات كلها تعرف أن رزقها في السماء؛ لأن خالقها فطرها علىٰ ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقد روىٰ الإمام أحمد في الزهد عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**خرج سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يستسقي، فرأىٰ نملةً مستلقية علىٰ ظهرها رافعة قوائمها إلىٰ السماء، تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنًىٰ عن سقياك. فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم**»(١).

فهؤلاء القبوريون مسخت عقولهم لدرجة أنهم ضلوا عما اهتدت إليه البهائم والحشرات، فما لهؤلاء القبوريين لا يكادون يفقهون حديثًا!!

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

فالقبوريون يسألون من لا يملك لهم مثقال ذرة، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه أحمد في الزهد، ص (١٦٣)، وصححه الحاكم (١/ ٣٥)، ووافقه الذهبي.

زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، فإذا كان المدعوون من دون الله لا يملكون القطمير - وهو لفافة نواة التمرة - فكيف ينزل الخلق حاجاتهم بهم، والله عَزَّوَجَلَّ ينصح لخلقه كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**»[1].

والمسلمون الموحدون كلهم يدين بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وكلهم يدين بأن الله هو المنعم المحسن إلىٰ خلقه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٣، ٣٤]، فهؤلاء لما غابوا عن شهود نعمة الله عليهم انصرفوا إلىٰ مخلوق ميت مثلهم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فحُرموا أعظم النعم وهو تجريد التوحيد لله، فما قدروا نعم الله حق قدرها، فحقيقتهم الإعراض عن أعظم النعم إلىٰ طلب نعم دونها بالاستغاثة الشركية، وصدق الله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (ص ١١٢٨ - رقم ٦٥٧٢).

(٨٣) صبر الموحدين صمام أمان ضد شرك القبوريين

من يعبد الله علىٰ حرف، ومن لا يقدر مولاه حق قدره - ما إن تنزل به نازلة حتىٰ يفزع إلىٰ القبور؛ لينزل حاجته بهم، فهذا شأن من لم يحقق التوحيد، أما لو صبر هؤلاء وأنزلوا حاجاتهم بالله، وتضرعوا إليه، فإن الله سيفرّج عنهم؛ لأن المصائب بتراء لا دوام لها، ومن لا يصبر علىٰ التوحيد، ولا يصبر عن الشرك فمثل هذا ما حقق الإيمان!!

ولا أحد أعز علىٰ الله من رسله، نزلت بهم النوازل فنجاهم الله بإيمانهم وتوحيدهم وصبرهم.

فأهل التوحيد والإيمان النوازل تُظهر بريق توحيدهم وإخلاصهم، ومن يعبد الله علىٰ حرف إذا نزلت به النازلة تاه في سوء الظن بالله وقصد غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «من تمام نعمة الله علىٰ عباده المؤمنين أن يُنزل بهم من الشدة والضُّر ما يلجئهم إلىٰ توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحدًا سواه، فتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذَوْقِ طعمه، والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف، أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة، فإن ذلك لذات بدنية ونعم دنيوية قد يحصل للكافر منها أعظم مما يحصل للمؤمن.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٣٣).

وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يُعبِّرَ عن كنهه مقال، أو يستحضر تفصيله بال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه».



(٨٤) ما جعل الله شفاء الخلق في الحرام

هؤلاء الذين يذهبون إلىٰ القبور ويسألون المخلوقين البشر مثلهم شفاء أسقامهم - لا شك أنهم ضالون، مُضلّلون من قبل أحبار السوء القبوريين، وإلا فكل مسلم يقول كما قال سيد الحنفاء إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. فالمؤمن الموحّد يتعاطىٰ الأسباب المباحة في العلاج، ويدعو ربه وحده لا شريك له مبتهلًا إليه أن يشفيه ويعافيه.

والأدلة واضحة جلية في تحريم التداوي بحرام، ويتغلظ التحريم إذا كان باستعمال الوسائل الشركية، فإن النبي ﷺ قال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيه شركٌ**»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[2]: «إن كان في ذلك كلمات محرمة مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنىٰ يحتمل أن يكون فيها كفر - فليس لأحد أن يرقي بها ولا يعزم، ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها، فإن ما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه، كالسيمياء وغيرها من أنواع السحر، فإن الساحر السيماوي وإن كان ينال بذلك بعض أغراضه، كما ينال السارق بالسرقة بعض أغراضه، وكما ينال الكاذب بكذبه وبالخيانة بعض أغراضه، وكما ينال المشرك بشركه وكفره بعض أغراضه، وهؤلاء

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب «**لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيه شرك**» (ص ٩٧٥ - رقم ٥٧٣٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٢٧٨).

وإن نالوا بعض أغراضهم بهذه المحرمات - فإنها تعقبهم من الضرر عليهم في الدنيا والآخرة أعظم مما حصلوه من أغراضهم».

وقال النبي ﷺ في الخمر مبطلًا ما عليه اعتقاد أهل الجاهلية: «إنها داء وليست بدواء»(١).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواءً، فتداووا ولا تداووا بحرام»**(٢).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣): «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم».

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ علل تحريم التداوي بالحرام، منها: أن الله حرَّمه لخبثه، وتحريمه له حميةً لخلقه، وصيانة لهم عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام، فإنه وإن أثّر في إزالتها فإنه يعقبه سقمًا أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المُداوىٰ به قد سعىٰ في إزالة سقم البدن بسقم القلب.

وتحريمه يقتضي تجنبه والبُعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواء حضٌّ علىٰ الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضد مقصود الشارع.

وأيضًا فإنه داء كما نص عليه صاحب الشريعة، فلا يجوز أن يتخذ دواءً، وهو يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث؛ لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالًا بيّنًا، فإذا كانت كيفيته خبيثة اكتسبت الطبيعة منه خبثًا، فكيف إذا كان خبيثًا في نفسه.

وإباحة المحرم للتداوي ذريعة إلىٰ تناوله للشهوة واللذة، والشارع سد

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر (ص ٨٨٦ - رقم ٥١٤١).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة (ص ٥٥٠ - رقم ٣٨٧٤).

(٣) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأشربة، باب شرب الحلواء والعسل ص (٩٩٥).

الذريعة إلىٰ تناوله بكل ممكن، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلىٰ تناوله، وفتح الذريعة إلىٰ تناوله - تناقضًا وتعارضًا.

إن مادة الشفاء هو في اعتقاد الشفاء بها، وتلقي ذلك بالقبول، فاعتقاد القبول بالشرك والحرام ينافي الإيمان(١).



(١) زاد المعاد، ص (٧٣٤، ٧٣٥) باختصار.

(٨٥) من ضيق إلى ضيق

هؤلاء القبوريون إذا نزلت بهم كربة فزعوا إلىٰ مخلوق مثلهم يستغيثون به، فيفرون من ضيق إلىٰ ضيق أعظم منه وهو الشرك بالله، أفعاقل يفعل ذلك؟!

فانظر إلىٰ نعت الشرك والحرام في كتاب الله تجده منعوتًا بالضيق، والحرج، والضلال، والفساد، وكفىٰ بهذه الأوصاف زجرًا لمن يعقل عن الله ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، فهؤلاء المعرضون عن الله المقبلون إلىٰ غيره في ظلمة الشرك، ووحشة التعلق بغير الله، وضيق الرغبة إلىٰ ضعيف لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن أن يملكه لغيره.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥٢هـ)**[1]: «ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالىٰ، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، فمن أحبَّ شيئًا غير الله عُذب به، وسُجن قلبه في محبة ذلك الغير، فما في الأرض أشقىٰ منه، ولا أكسف بالًا، ولا أنكد عيشًا، ولا أتعب قلبًا.

فهما محبتان: محبة: هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذَّة القلب، ونعيم الروح،

---

(١) زاد المعاد، ص (٢٠٥).

وغذاؤها ودواؤها، بل حياتها وقرة عينها، وهي محبة الله وحده بكل القلب، وانجذاب قوىٰ الميل والإرادة، والمحبة كلها إليه. ومحبة: هي عذاب الروح، وغمُّ النفس، وسجن القلب، وضيق الصدر، وهي سبب الألم والنكد والعناء، وهي محبة ما سواه سبحانه».

فكل سيئة فهي حرج وضيق، وأعظمه سيئة الشرك، يدل لذلك حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات، كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته، ثم عمل حسنة فانفكت حلقة، ثم حسنة أخرىٰ فانفكت أخرىٰ حتىٰ تخرج إلىٰ الأرض**»(١).



---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٤٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٨٤)، وابن أبي الدنيا في التوبة (٣/ ٤١٤ - مجموع رسائله).

(٨٦) تفريج كربة يوقع في ورطة

هؤلاء المستغيثون بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله لو قُدر أنهم صادقون، وأنه استجيب لهم باستغاثتهم بغير الله، فإنهم لو فرجوا كربتهم الدنيوية، فقد أوقعوا أنفسهم في ورطة الشرك والعياذ بالله، وهو الذنب الذي يحيط بصاحبه ويوجب له الخلود في نار جهنم، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

فلو يعلم هؤلاء الجهال المُغرر بهم أن حقيقة دعوة أحبار السوء لهم للاستغاثة بغير الله هو حبوط العمل، والخلود في نار جهنم، وحلول سخط الله عليهم - لقاموا في وجههم، ولدفعوهم بكل ما يقدرون عليه لفكاك رقابهم من الخلود في النار والسقوط في أعظم الورطات.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فاحذر يا عبد الله الدجالين الكذّابين الذين يُهوّنون عليك الشرك، ويزينونه لك بتسميته استشفاعًا وتوسلًا بالصالحين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «إن الذين يدعون

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٧٨، ١٧٩).

الأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وغير قبورهم - هم من المشركين الذين يدعون غير الله، كالذين يدعون الكواكب والذين اتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا. قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]».



(٨٧) من أعرض عن الله لا بد أن يُعرض الله عنه

هؤلاء القبوريون نسوا أن الله غياثهم وغياث الخلق أجمعين، وسُنَّة الله فيمن نسي الله أن ينساه، قال تعالىٰ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، فمن نسي أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، فهؤلاء لا بد أن ينساهم الله ويعرض عنهم ولا يباليهم باله، هانوا علىٰ الله فلم يعصمهم من الشرك، وأي خسارة أعظم من هذه؟!

فهؤلاء القبوريون التفتوا عن الله وما عظم رجاؤهم به، ولا سألوه ولا رغبوا إليه، فأنىٰ يُستجاب لهم؟!

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنه لا يستجيب من قلب غافل لاه»[1]، فمن سأل الله وهو غافل لا يستجاب له، فكيف بمن أقبل بكليته إلىٰ غير الله، فهذا أحرىٰ أن لا يُستجاب له.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في إيجاب الدعاء (ص ٧٩٤ - رقم ٣٤٧٩)، والطبراني في الدعاء (٢/ ٨١٢ - رقم ٦٢).

(٨٨) الله يريد منا تحقيق العبودية له بمنع إجابة الدعاء أحيانًا لا الالتفات إلى غيره

يمنع الله إجابة أدعيتنا أحيانًا لحكم بالغة، منها: لنقبل عليه أكثر، فيزداد تضرعنا وافتقارنا إلىٰ الله، وتزداد عبوديتنا له، ونتجرد من موانع إجابة أدعيتنا، فنبادر إلىٰ الانكفاف عن الذنوب والمعاصي ونسارع إلىٰ التوبة إلىٰ الله، ويقوىٰ رجاؤنا وتعلقنا بالله.

فافطن لهذا الأمر، وكن حاضر البال منه، وإلا فلو أنه كلما رفع العبد يديه استجيب له، ما حصل تكليف ولا ابتلاء، أما القبوريون فلا ينظرون من أين حُرموا إجابة الدعاء، فينصرفون عن الله إلىٰ مخلوق ميت مثلهم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فما أجهل هؤلاء بسُنَّة الله وحالهم! فالله عَزَّوَجَلَّ لا يستجيب لعبده في كل ما يدعوه؛ ليكون العبد دائمًا علىٰ ارتباط بربه، قال أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولهذا قال بعضهم: لو استجيب للعبد في كل ما سأل لخرج عن حدّ العبودية، وإنما أُمر بالدعاء؛ ليكون عبدًا، والله يفعل ما يشاء».

والقبوريون لو حققوا التوحيد، وتحرّوا أسباب إجابة الدعاء، وانشغلت قلوبهم بذكر الله - لحازوا ما يرجون إن كان مما قدّره الله لهم، فحقيقة التوحيد ضل عنها القبوريون، وهو أن يتبرأ العبد من الحول والقوة إلا بالله، فلا يُغير الحال، ولا يكشف الضر، ولا يحوله إلا الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله!

---

(١) الدعاء المأثور، ص (١٠٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «والسبب في أن فرج الله يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق - هو تحقيق توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية».



(١) طريق الوصول إلىٰ العلم المأمول (ص ١٤٥ - رقم ٥٠٢).

(٨٩) ينتقلون من إله إلى إله

هؤلاء القبوريون أحوالهم معلومة، يشدون رحالهم من قبر إلىٰ قبر، بحسب ما يتهيأ لهم من أسباب سفرهم، لا يحجزهم عن صنيعهم هذا توحيد، ولا علم، ولا هدًىٰ، ولا نور، وبحسب ما ينزل بهم من فاقة وكربة، فالنوازل العظيمة عندهم لها سادات الموتىٰ الصالحين من النبيين والأولياء المتقين، ومن لا يستجاب له عند قبر، ينتقل إلىٰ قبر آخر حتىٰ تقضىٰ حاجته ويستجاب له، فإن استجيب له في حاجة مخصوصة، ثم حُرم الإجابة في بقية سؤالاته - انتقل إلىٰ قبر آخر، هكذا كحال أهل الجاهلية كلما استحسنوا شيئًا اتخذوه إلهًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «وقد سئل سفيان بن عيينة عن أهل البدع والأهواء أن ما عندهم حبًّا لذلك؟ فأجاب السائل: بأن ذلك كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، والله تعالىٰ قد ذكر حب المشركين آلهتهم في كتابه، وبيّن أن من الناس من يتخذ إلهه هواه، أي: يجعل ما يأله ويعبده هو ما يهواه، فالذي يهواه ويحبه هو الذي يعبده، ولهذا ينتقل من إله إلىٰ إله، كالذي ينتقل من محبوب إلىٰ محبوب، إذ كان لم يحبَّ بعلم وهدًىٰ ما يستحق أن يحب، ولا عبد من يستحق أن يعبد، بل عبد وأحب ما أحبه من غير علم ولا هدًىٰ ولا كتاب منزل، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٦٠، ٦١).

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ذاك الكافر اتخذ دينه بغير هدًىٰ من الله ولا برهان». وقال سعيد بن جبير: «كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأىٰ ما هو أحسن منه رماه وعبد الآخر». وقال الحسن البصري: «ذاك المنافق نصب هواه، فما هوىٰ من شيء ركبه». وقال قتادة: «أي والله، كلما هوىٰ شيئًا ركبه، وكلما اشتهىٰ شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوىٰ». رواهن ابن أبي حاتم وغيره.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالىٰ عن المشركين: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨ - ٧١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢، ٢٣]. فالذين يحجون إلىٰ القبور هم من جنس الذين يحجون إلىٰ الأوثان. والمشركون يدعون مع الله إلهًا آخر يدعونه كما يدعون الله، وأهل التوحيد لا يدعون إلا الله، لا يدعون مع الله إلهًا آخر، لا دعاء سؤال وطلب، ولا دعاء عبادة وتأله. والمشركون يقصدون هذا وهذا».

❁ ❁ ❁

(٩٠) قبور النبيين ببيت المقدس لم تدفع عمن حولها

معلوم أن ببيت المقدس قبور عدد من النبيين[١]، ونزلت بتلك الديار أنواع من المثلات، ولم تدفع تلك القبور عمن حولها سوءًا، ولم تجلب لهم منفعة، وكذلك قبر النبي ﷺ بالمدينة لم يدفع عن أهل الحرّة ما أصابهم يوم الحرّة وغيرها من أيام الشدة والقحط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٢]: «من المعلوم أن ببيت المقدس وما حوله من قبور الأنبياء ما هو أكثر من غيره، فإن بني إسرائيل قد بُعث فيهم ألف نبي، ومع هذا فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ – ٨].

فقد بيّن الله أنهم إذا غلوا وأفسدوا عاقبهم الله بذنوبهم، وسلط عليهم العدو الذي جاس خلال الديار، ودخل المسجد، وقتل فيهم من لا يُحصي عدده إلا الله،

---

(١) يعني بفلسطين لا في نفس المسجد.

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٥٥).

ولم يخفرهم أحد من قبور الأنبياء التي كانت هناك، وإنما الناس يجزون بأعمالهم، والله تعالىٰ هو الذي يرزقهم وينصرهم، لا رازق غيره ولا ناصر إلا هو، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢٠، ٢١]، فليس للعباد من دون الله رازق ولا ناصر.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الإسراء: ٥٨]، فأخبر أنه لا بد لكل قرية من هلاك، أو عذاب شديد بدون الهلاك، وذلك بذنوبهم بعد إرسال الرسل لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩]، وكان أهل المدينة النبوية علىٰ عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحسن أهل المدائن حالًا، ونعمة الله عليهم أعظم النعم؛ لكونهم كانوا مطيعين لله ورسوله، وكانت الخلفاء تسوسهم سياسة نبوية، فلما تغيروا وقُتل بينهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تغير الأمر، وحصل لهم من الخوف والذل، ثم أصابهم من السيف ما أصابهم، ورسول الله ﷺ مدفون بالحجرة، وهو قد بلَّغهم الرسالة وأدَّىٰ الأمانة، ولم يضمن لهم أنه لوجود قبره أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين يندفع البلاء، وإنما يندفع البلاء بطاعة الرسل لا بقبورهم، فمن أطاعهم كان سعيدًا في الدنيا والآخرة، ومن عصاهم استحق ما يستحقه أمثاله، وإن كان عنده ما شاء الله من قبورهم».

❁ ❁ ❁

(٩١) نفع النبي ﷺ لأمته بذاته لما كان حيًّا، فلما مات فبلزوم سنته

انتفاع الأمة الإسلامية بمباشرة النبي ﷺ لذلك لمّا كان حيًّا، حيث كان يُعلّمهم ويهديهم إلىٰ شريعة الله، ووجوده فيهم وهو حي بين ظهرانيهم - صلوات الله عليه وسلامه - أمان لهم من عذاب الاستئصال، وحذّر النبي ﷺ أمته أنه إذا قُبض فإنه لا أمان لهم به ميتًا، وإنما لهم من الأمان بحسب لزوم سُنَّته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «وهؤلاء - القبوريين - قد يظنون أن وجود النبي ﷺ مقبورًا بينهم مثل وجوده في حياته، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وهذا غلط عظيم، فقد روىٰ الترمذي[٢]: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن نمير، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسىٰ، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل الله أمانين لأمتي:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، **فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار**».

فقد بيّن ﷺ أن الأمان بوجوده هو في حياته، وأنه بعد موته لم يبق إلا الاستغفار، ليس في وجود القبور أمان.

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (٥٤، ٥٥).

(٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال (ص ٦٩٤ - رقم ٤٠٨٢)، وقال: حديث غريب.

وكذلك في صحيح مسلم[١] عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**النجوم أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ السماء ما تُوعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمتي ما يوعدون**».



(١) كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (ص ١١٠٩ - رقم ٦٤٦٦).

(٩٢) لا نُكذب خبر رسول الله ﷺ لأغلوطات القبوريين

المؤمنون الموحّدون المصدّقون لخبر الله ورسوله لا يُقدّمون أغلوطات وأكاذيب المبتدعين والمشركين علىٰ خبر الله ورسوله، فإذا أخبرنا النبي ﷺ بأن الشر في الغلو في الصالحين بأنواع الغلو، فلا يمكن أن نقبل خبر من يزعم أن الخير في الغلو في الصالحين، فلا نكذب ربنا ورسولنا ﷺ، ونصدق المبتدعين والمشركين من القبوريين وغيرهم من الضالين.

فسؤال المخلوقين الموتىٰ الرزق، والنصر، وتفريج الكربات - هذا من أشد أنواع الغلو الذي لا يأتي بخير كما أخبر النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «وأما البدع التي لم يشرعها بل نهىٰ عنها وإن كانت متضمنة للغلو فيه والشرك به والإطراء له كما فعلت النصارىٰ - فإنه لا يحصل بها أجر لمن عمل بها، فلا يكون للرسول فيها منفعة، بل صاحبها إن عذر كان ضالًّا لا أجر له فيها، وإن قامت عليه الحجة استحق العذاب، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»».

❊ ❊ ❊

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٠١).

(٩٣) شرك الألفاظ منعه الشرع، فإذا توافق الاعتقاد مع نطق اللسان فهو أعظم منعًا

كل عاقل يعرف مقتضيات ألفاظ النبي ﷺ ودلالتها علىٰ الأحكام الشرعية يجزم بتحريم قصد القبور للاستغاثة بالموتىٰ المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم، فالنبي ﷺ لما قال له الرجل: ما شاء الله وشئت. قال له ﷺ: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**»[(١)]. فهذا الرجل وقع في الشرك في الألفاظ، فزجره النبي ﷺ أشد الزجر، وبيّن له ما في ذلك من تصيير النبي ﷺ ندًّا لله، فكيف بما يقع في قلوب المستغيثين بغير الله من قصد سؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ودعائهم أو الدعاء بهم مع ما يقترن بذلك من عبادات الجوارح مما لا يجوز صرفه لغير الله من الخضوع والرغبة والرهبة لبشر ميت؟

ومما ينبغي التنبيه عليه أن قصد زيارة القبور تذكر الآخرة، ونفع الميت بالدعاء له لا الخضوع له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[(٢)]: «زيارة القبور التي شرعها رسول الله ﷺ إذنًا فيها، وفعلًا لها، أو ترغيبًا فيها - إنما المقصود بها نفع الزائر للمزور وإحسانه إليه بدعائه له واستغفاره له إن كان مؤمنًا، وإن كان كافرًا، فالمقصود بها تذكرة الموت، ليس المقصود مما شرعه الله ورسوله ﷺ من زيارة القبور - خضوع الزائر للمزور لعلو جاهه وقدره. وبهذا

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢/ ٤٢٠)، والنسائي في الكبرىٰ (٣/ ١٦٩٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩).

(٢) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٩٧).

يظهر الفرقان بين الزيارة الشرعية المباحة والمستحبة، وبين الزيارة البدعية المكروهة والمنهي عنها.

وإذا كان كذلك فمعلوم أن الأنبياء والصالحين إذا كانت زيارة قبورهم إنما هي للدعاء لهم كما يصلىٰ علىٰ جنائزهم، كزيارة سائر قبور المؤمنين، وليست خضوعًا من الزائر لهم لعلو جاههم وعظم قدرهم».



(٩٤) حاجات القبوريين ممحوقة البركة بسبب شركهم

هؤلاء القبوريون ظلموا أنفسهم وخابوا بحيازة قضاء بعض حاجاتهم الدنيوية إن قضيت، وخسروا إيمانهم وعقيدتهم وتوحيدهم، ثم ما أدركوه باستغاثتهم الشركية تجده ممحوق البركة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[١]: «وأما المقبريون: فإنهم إذا استجيب لهم نادرًا، فإن أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون، ولعله لا يكاد يُبارك له في حاجته، اللهم إلا أن يعفو الله عنهم لعدم علمهم بأن ذلك بدعة، فإن المجتهد إذا أخطأ أثابه الله علىٰ اجتهاده، وغفر له خطأه.

وجميع الأمور التي يظن أن لها تأثيرًا في العالم وهي محرمة في الشرع، كالتمريجات الفلكية، والتوجهات النفسانية، كالعين، والدعاء المحرم، والرقىٰ المحرمة، أو التمريجات الطبيعية، ونحو ذلك - فإن مضرتها أكثر من منفعتها حتىٰ في نفس ذلك المطلوب، فإن هذه الأمور لا يطلب بها غالبًا إلا أمور دنيوية، فقلَّ أن يحصل لأحد بسبب أمر دنيوي إلا كانت عاقبته فيه في الدنيا عاقبة خبيثة، دع الآخرة.

والمخفق من أهل هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح، ثم إن فيها من النكد والضرر ما الله به عليم، فهي في نفسها مضرة، ولا يكاد يحصل الغرض بها إلا نادرًا، وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢١٠ - ٢١٢).

والأسباب المشروعة في حصول هذه المطالب المباحة أو المستحبة، سواء كانت طبيعية: كالتجارة والحراثة، أو كانت دينية: كالتوكل علىٰ الله والثقة به، وكدعاء الله سبحانه علىٰ الوجه المشروع، في الأمكنة والأزمنة التي فضَّلها الله ورسوله ﷺ بالكلمات المأثورة عن إمام المتقين ﷺ، والصدقة، وفعل المعروف - يحصل بها الخير المحض، أو الغالب.

وما يحصل من ضرر بفعل مشروع، أو ترك غير مشروع مما نهي عنه - فإن ذلك الضرر مكثور في جانب ما يحصل من المنفعة.

وهذا الأمر، كما أنه قد دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فهو أيضًا معقول بالتجارب المشهورة والأقيسة الصحيحة، فإن الصلاة والزكاة يحصل بهما خير الدنيا والآخرة، ويجلبان كل خير، ويدفعان كل شر.

فهذا الكلام في بيان أنه لا يحصل بتلك الأسباب المحرمة لا خير محض، ولا غالب، ومن كان له خبرة بأحوال العالم وعقل تيقن ذلك يقينًا لا شك فيه».



(٩٥) غلو الاستغاثة يئول إلى براءة المصطفى لا شفاعته

هؤلاء القبوريون ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وزُين لهم سوء عملهم والعياذ بالله، فهم يزعمون أنهم يتوسلون ويستشفعون بالنبي ﷺ في قضاء حوائجهم، والنبي ﷺ يتبرأ يوم القيامة من فعلهم، ويذادون عن حوضه، ولا تشملهم شفاعته إلا أن يتوبوا من شركهم وبدعهم.

فالنبي ﷺ يتبرأ ممن غلا فيه واستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[1]: «الذين يقصدون الحج إلىٰ قبره وقبر غيره، ويدعونهم ويتخذونهم أندادًا - هم من أهل معصيته ومخالفته، لا من أهل طاعته وموافقته، فهم في هذا الفعل من جنس أعدائه لا من جنس أوليائه، وإن ظنوا أن هذا من موالاته ومحبته كما يظن النصارىٰ أن ما هم عليه من الغلو في المسيح والشرك به من جنس محبته وموالاته، وكذلك دعاؤهم للأنبياء والموتىٰ، كإبراهيم وموسىٰ وغيرهما، ويظنون أن هذا من محبتهم وموالاتهم، وإنما هو من جنس معاداتهم، ولهذا يتبرءون منهم يوم القيامة، وكذلك الرسول يتبرأ ممن عصاه وإن كان قصده تعظيمه والغلوُّ فيه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٦]، فقد أمر الله المؤمنين أن يتبرءوا من كل معبود غير الله، ومن كل من عبده، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٤٩).

لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]».



(٩٦) من تعاطى وسائل الشرك ملعون فمن أتى الشرك أولى بذلك

قاعدة الشريعة في النهي عن وسائل الشرك واضحة؛ لحفظ توحيد الناس عن الشرك، وقد توعَّد النبي ﷺ من يتعاطىٰ وسائل الشرك باللعنة، فمن أتىٰ الشرك فهو باللعنة والوعيد أحرىٰ وأولىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «في الصحيحين عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٢)]. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يكون مسجدًا». وفي الصحيحين أيضًا عن عائشة وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذّر ما صنعوا.

فإذا كان قد لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد يحذر أمته أن يفعلوا ذلك، مع أن المساجد إنما تكون لعبادة الله، لكن إذا اتخذت القبور مساجد للعبادة صار ذلك ذريعة إلىٰ قصد القبر ودعاء صاحبه واتخاذه وثنًا، فإذا كان قد لعن من يفعل الوسيلة إلىٰ الشرك، فكيف بمن أتىٰ بالشرك الصريح؟! وإذا كان هذا حال من

---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٥٨، ١٥٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يُكره من اتخاذ المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٢ - رقم ١٣٣٠)، ومسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (ص ٢١٥ - رقم ١١٨٤).

دعا أهل القبور من غير حج إليهم، فكيف بمن حج إليهم أو جعل الحج إليهم أفضل من الحج إلىٰ بيت الله».



(٩٧) دعاء غير الله كفر بالقرآن الذي دلت آياته كلها على تعظيم الله بدعائه

تقرير التوحيد في القرآن هو حقيقة القرآن، وأساس بعث نبينا ﷺ، فلا تكاد سورة من القرآن تخلو من تقرير التوحيد، وتعظيم دعاء الله والرغبة والرهبة إليه وحده لا شريك له، أفنكذّب قرآننا، وآيات ربنا لتجربة القبوريين؟!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(١)]: «جماع الدين هو عبادة الله وحده، وأعظم الذنوب الشرك، والقرآن مملوء من تعظيم التوحيد بالدعاء إليه، والترغيب فيه، وبيان سعادة أهله، وتعظيم الشرك بالنهي عنه والتحذير منه، وبيان شقاوة أهله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»».



---

(١) الرد علىٰ الأخنائي، ص (١٥٩).

(٩٨) الاستغاثة بمخلوق هي حقيقة الشرك

حقيقة الحنيفية والإسلام هو إسلام الوجه لله وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، فإسلام الوجه لله، والخضوع له وحده لا شريك له، والرغبة والرهبة إليه، والافتقار إليه، والابتهال بدعائه وحده لا شريك له في كشف الضر وتحويله - هو حقيقة التوحيد، وصرف ذلك إلىٰ المخلوقين هو حقيقة الشرك، فاستيقظوا يا موتىٰ الأحياء، لحقيقة ما أنتم به تشركون!!!

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: **١٢٩٢هـ**)[١]:

«فالشرك تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعلق الدعاء والخوف، والرجاء والتوكل به وحده، فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالىٰ، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فضلًا عن غيره شبيهًا لمن الأمر كله له. فأزمة الأمور كلها بيده، ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطىٰ، ولا مُعطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه

---

(١) منهاج التأسيس، ص (٢٨٥، ٢٨٦).

من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة، وغاية الذل مع غاية الحب».





(٩٩) عكسوا الحقائق

الله عَزَّوَجَلَّ أحسن كل شيء خلقه ثم هدىٰ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وهو الذي خلقنا في أحسن تقويم، وسخر لنا ما في السموات والأرض جميعًا منه؛ لنستعملها فيما خُلقت له علىٰ الوجه الصحيح، وقضىٰ الله أن تستقيم أحوال الخلق بعبادة الله وحده لا شريك له، وبالانتفاع بما في الأرض من المباح الحلال، فإذا عكس أهل الشرك والضلال الحال فأشركوا بالله واعتاضوا بالحرام عن الحلال - فسد انتظام الحياة ومقصود الاستخلاف في الأرض، وحل بالناس الهلاك والبوار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «ومن كمال نعمة الله علىٰ عباده المؤمنين أن يمنع حصول مطالبهم بالشرك حتىٰ يصرف قلوبهم إلىٰ التوحيد».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرَّج الله كربه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها».

فالعاقبة للتوحيد والتقوىٰ، لا للشرك والحرام، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥٢هـ)[٣]: «ومن بعض الأدلة العقلية ما أبقاه الله تعالىٰ من آثار عقوبات أهل

---

(١) طريق الوصول إلىٰ العلم المأمول، ص (١٤٥).

(٢) الفوائد، ص (٨٢).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٦).

الشرك وآثار ديارهم، وما حل بهم، وما أبقاه من نصر أهل التوحيد وإعزازهم، وجعل العاقبة لهم، قال تعالىٰ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، وقال في ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٢، ٥٣]».

ثم بيّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من التفت إلىٰ غير الأسباب الشرعية، والتفت إلىٰ غير الله – فقد اتخذ أسبابًا تضاد مشيئة الله، وهيهات إلا أن ينفذ أمر الله ومشيئته، فقال(١): «فلا يصح التوكل شرعًا وعقلًا إلا عليه سبحانه وحده، فإنه ليس في الوجود سبب تام موجب إلا مشيئته وحده، فهو الذي سبّب الأسباب، وجعل فيها القوىٰ والاقتضاء لآثارها، ولم يجعل منها سببًا يقتضي وحده أثره، بل لا بد معه من سبب آخر يشاركه، وجعل لها أسبابًا تضادها وتمانعها، بخلاف مشيئته سبحانه، فإنها لا تحتاج إلىٰ أمر آخر، ولا في الأسباب الحادثة ما يبطلها ويضادها، وإن الله سبحانه قد يُبطل حكم مشيئته بمشيئته، فيشاء الأمر ثم يشاء ما يضاده ويمنع حصوله، والجميع بمشيئته واختياره، فلا يصح التوكل إلا عليه، ولا الالتجاء إلا إليه، ولا الخوف إلا منه، ولا الرجاء إلا له، ولا الطمع إلا في رحمته، كما قال أعرف الخلق به ﷺ: «**أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**». وقال: «**لا منجىٰ ولا ملجأ منك إلا إليك**».

فإذا جمعت بين هذا التوحيد وبين إثبات الأسباب استقام قلبك علىٰ السير إلىٰ الله،

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٩٢، ٣٩٣).

ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضىٰ عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم».



تمام المائة: لو كانت قبور الأنبياء والصالحين غياث المستغيثين لقامت عليها الأدلة الظاهرة والقطعية

معلوم مدىٰ حاجة الناس إلىٰ رب يرزقهم وينصرهم ويحفظهم ويجلب لهم أنواع المنافع، ويدفع عنهم أنواع المضار، ولو كانت قبور الأنبياء والصالحين هي غياث المستغيثين لقامت الأدلة الظاهرة والقطعية في تقرير ذلك، وذلك لحاجة الناس وضرورتهم إلىٰ من يجلب لهم المنافع ويدفع عنهم المضار.

وكل من له أدنىٰ معرفة بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ - يعلم أن الأدلة ظاهرة وقطعية علىٰ أن المغيث هو الله وحده لا شريك له، وأن المخلوقين لا يملكون ذلك لأنفسهم، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

وأنت إذا تأملت ما أدلىٰ به القبوريون من شبهات في استغاثتهم بغير الله تيقنت أنهم أقاموا بنيان شركهم وبدعهم علىٰ شفا جرف هارٍ من أخبار وآثار وروايات مكذوبة، وضعيفة، ونادرًا آثار صحيحة لا تدل علىٰ ما تعلقوا به. وفي المقابل تجد أهل التوحيد حججهم آيات قرآنية وأحاديث في غاية الصحة، ودلالتها للمقصود واضحة وضوح الشمس.

ولا بأس الآن من استعراض بعض شبهات القبوريين ليرىٰ القارئ بنفسه ضعف وبطلان بنيان القبوريين البدعي الشركي.

شبهات القبوريين في الاستغاثة بغير الله

القبوريون يُعْرِضُون عن الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة وعمل السلف؛ لأن ذلك لا يتوافق مع بدعهم، ويعتمدون علىٰ أحاديث مكذوبة أو ضعيفة، أو رؤًىٰ منامية، أو حكايات مكذوبة، أو أدلة مشبهة متشابهة دون ردها إلىٰ المحكم من الكتاب والسنة علىٰ طريقة أهل الزيغ والضلال، وإليك جملة من ذلك[١]:

❁ ❁ ❁

أولًا: لا بد أن نعرف أن العوارض النفسية لا تقضي علىٰ الحقائق القطعية والآيات القرآنية، فالقبوريون يغالطون بعوارض نفسية وأقيسة بدعية فاسدة الاعتبار؛ ليبطلوا بها الحقائق القطعية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة علىٰ أن الله وحده النافع الضار، فيقول هؤلاء: إن ابن عمر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خدرت رجل كل واحد منهما، فقيل لكل واحد منهما: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد![٢].

وعلّق الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح الشفا»، قوله: «خدرت رجله»،

---

(١) قاله العلامة صالح الفوزان حفظه الله.

(٢) أثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٥٣٦ - رقم ٩٦٤)، وأعله الدارقطني في العلل (١٣/ ٢٤٢) للاختلاف في إسناده. وأما أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧٠) وفي إسناده غياث بن إبراهيم النخعي، وهو كذاب.

أي: أصابها خدر، وهو أمر يعتري الرجل لما يصيب العصب فيمنع من تحريكها بسهولة، ويزول سريعًا؛ لأنه لو امتد كان فالجًا أو مقدماته.

فقيل له: «اذكر أحب الناس إليك». لأن الناس جرَّبوا في الخدر أن من أصابه إذا ذكر محبوبه زال بسهولة؛ لأنه بمسرته تنتعش الحرارة الغريزية فيندفع الخدر «فصاح: يا محمداه». يعنيه ﷺ؛ لأنه أحب الناس إليه وإلىٰ كل مؤمن. «فانتشرت رجله». أي: امتدت لزوال خدرها، وهذا يقتضي صحة ما جربوه، وقد يُقال: إنه وقع مثله لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفيه يقول أبو العتاهية:

«وتخـدر في بعـض الأحـايين رجلـه ... فإن لم يقل: يا عَتْبُ لم يذهب الخدر»

فأقول تعليقًا علىٰ قول الخفاجي: «يعينه ﷺ»: إنه قول باطل، فنبينا ﷺ لا يعين أحدًا بعد وفاته، والمسرة بذكر النبي ﷺ والصلاة عليه ليست استغاثة.

قال العلامة الشيخ أحمد بن إبراهيم العيسىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ١٣٢٩هـ)** رادًّا علىٰ هذه الشبهة[1]: «سبحان الله! هذا غاية ما عند هذا وأمثاله، ونهاية محصول إشكاله، كيف يروم معارضة القواطع القرآنية، والأحاديث النبوية الدالة علىٰ وجوب إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وحده، ويحاول صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة إلىٰ غير الله».

فهذا الأثر كما ترىٰ ليس فيه أدنىٰ دليل للاستغاثة بالنبي ﷺ، ولكن شأن من عدم الأدلة الصحيحة الصريحة لبدعته أن يصطنع دليلًا، فتراه حيث ذُكر اسم

---

(١) الرد علىٰ شبهات المستغيثين بغير الله، ص (٨٢).

النبي ﷺ في أي موضع، كان وكيف كان ذكره، ولو بغير استغاثة يُدلي به في مقام لجاجه يشغب بالحق وأهله، وليدفع في نحور الحجج الواضحات والدلائل البينات من الكتاب والسُّنَّة الناطقة بتحريم الاستغاثة بغير الله، والناطقة بأن الله وحده هو النافع الضار.

قال العلامة محمود شكري الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «هذا أيضًا ليس مما نحن فيه، فإنه ليس نداءً بما لا يقدر عليه إلا الله، غاية ما فيه ذكر المحبوب لا طلب شيء منه، ولا استغاثته، وإلا لزم أن كل من ذكر محبوبه فقد استغاث به، وبطلانه ظاهر».

❁ ❁ ❁

ثانيًا: حديث الأعمىٰ: قال عثمان بن حنيف: إن رجلًا ضريرًا أتىٰ النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال له: «**إن شئت أخّرت ذلك فهو خير لك، وإن شئت دعوت؟**»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلىٰ ربي في حاجتي هذه فيقضيها لي، اللهم فشفعه فيّ وشفعني فيه**». قال: فقام وقد أبصر[(٢)].

والجواب عنه أنه قد تكلم أهل العلم في هذا الحديث تضعيفًا وتصحيحًا، ومرد

---

(١) فتح المنان تتمة منهاج التأسيس، ص (١٥١، ١٥٢).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٣٨)، والترمذي (ص ٨١٦ - رقم ٣٥٧٨)، وابن ماجه (ص ١٩٧ - رقم ١٣٨٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٣)، والطبراني في الصغير (١/ ٣٠٦ - رقم ٥٠٨)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١/ ١٥١ - رقم ٢٠٤٥)، ودلائل النبوة (٦/ ١٦٦) كلهم من طريق شعبة عن أبي جعفر الخطمي قال: سمعت عامر بن خزيمة يحدّث عن عثمان بن حنيف.

هذا الاختلاف في التصحيح يرجع إلىٰ تعيين أحد رواته، هل هو أبو جعفر الخطمي أو الرازي؟ والرازي والخطمي لا يشتبهان، غير أن قول الترمذي «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وهو غير الخطمي»[1]، هو الذي أوقع ريبة، وأوجب دفع شبهة اشتباه الخطمي بالرازي.

وقد جاء تعيين أبي جعفر مصرحًا به الخطمي المدني في كل المصادر التي روت الحديث، ولولا تعليق الترمذي لما اشتبه الأمر في تعيين أبي جعفر أصلًا، فإن أبا جعفر عمير بن يزيد مدني نزيل البصرة، وعيسىٰ بن ماهان مروزي كان متجره إلىٰ الري فنُسب إليها، وعمير بن يزيد الخطمي هو الذي روىٰ عنه شعبة، وليس عيسىٰ بن ماهان.

علىٰ كل حال، تعيين أبي جعفر مصرحًا به الخطمي المدني منطوق به في كل الروايات:

١ - أحمد في المسند (٤/ ١٣٨).

٢ - ابن ماجه في سننه (ص ١٩٧ - رقم ٣٨٥).

٣ - الحاكم في المستدرك (١/ ٣١٣).

٤ - الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠٦ - رقم ٥٠٨)[2].

٥ - البيهقي في الدعوات الكبير (١/ ١٥١ - رقم ٢٠٤)، وفي دلائل النبوة (٦/ ١٦٦).

٦ - ابن أبي خيثمة في تاريخه، حيث أسند الحديث من طريق حماد بن سلمة: نا أبو جعفر الخطمي، عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف.

---

(١) جامع الترمذي، ص (٨١٦).

(٢) الروض الداني.

وقال ابن أبي خيثمة: وأبو جعفر هذا الذي حدَّث عنه حماد بن سلمة اسمه عمير بن يزيد، وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة[١].

فالحاصل أن أبا جعفر هو الخطمي، ولما ساق العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الترمذي: «وهو غير الخطمي». تعقّبه بقوله[٢]: «كذا قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنه غير الخطمي، وقد صرَّح به عند الحاكم وغيره أنه الخطمي، وكما قال شيخ الإسلام في «التوسل والوسيلة»».

فالحديث كما ترىٰ صحيح، وقد صححه الترمذي فقال: «حسن صحيح غريب»[٣]. وابن ماجه لما رواه قال: «قال أبو إسحاق هذا حديث صحيح»[٤].

وصححه الحاكم، وقال[٥]: «حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه».

وصححه الحافظ البيهقي، وقال[٦]: «رويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح».

والحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك صححه في المواضع الثلاثة التي ساقها الحاكم في المستدرك، فقال في رواية عثمان بن عمر عن شعبة، عن أبي جعفر الخطمي: سمعت عامر بن خزيمة يحدث عن عثمان بن حنيف[٧]: «علىٰ شرطهما». وقال في

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٢٥٣ - رقم ٥٤٨).

(٢) الصحيح المسند لما في غير الصحيحين (٢/ ٦٦).

(٣) جامع الترمذي، ص (٨١٦).

(٤) سنن ابن ماجه، ص (١٩٧).

(٥) المستدرك (١/ ٣١٣).

(٦) دلائل النبوة (٦/ ١٦٧).

(٧) تلخيص المستدرك (١/ ٣١٣).

رواية جعفر بن محمد عن شعبة به[١]: «صحيح». وقال في رواية روح بن القاسم، عن أبي جعفر، عن أبي أمامة سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف[٢]: «خ».

وأما قول الأعمىٰ: «وشفعني فيه». فهذا معناه سؤال الأعمىٰ لنبينا الشفاعة؛ لتكون سببًا في شفاعة النبي ﷺ للأعمىٰ، وهو مقتضىٰ قاعدة الشرع: «الجزاء من جنس العمل». قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[٣]: «قوله: «وشفعني فيه». وليس المراد أن يشفع للنبي ﷺ في حاجة للنبي ﷺ، وإن كنا مأمورين بالصلاة والسلام عليه، وأمرنا أن نسأل الله له الوسيلة.

ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **أن رسول الله ﷺ قال: «من قال إذا سمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة»**[٤].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال**: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلَّىٰ عليَّ صلاة صلَّىٰ الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة، حلت عليه الشفاعة»**[٥].

---

(١) تلخيص المستدرك (١/ ٥١٩).

(٢) تلخيص المستدرك (١/ ٥٢٧).

(٣) التوسل والوسيلة، ص (٢٥٤، ٢٥٦).

(٤) رواه البخاري كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء، (ص ١٠٢ - رقم ٦١٤).

(٥) سبق تخريجه، ص (١٤٣).

وسؤال الأمة له الوسيلة هو دعاء له، وهو معنىٰ الشفاعة، ولهذا كان الجزاء من جنس العمل، فمن صلىٰ عليه، صلىٰ عليه الله، ومن سأل الله له الوسيلة المتضمنة لشفاعته، شفع له ﷺ، كذلك الأعمىٰ سأل منه الشفاعة، فأمره أن يدعو الله بقبول هذه الشفاعة، وهو كالشفاعة في الشفاعة، فلهذا قال: «**اللهم فشفعه فيَّ وشفعني فيه**».

وذلك أن قبول دعاء النبي ﷺ في مثل هذا هو من كرامة الرسول علىٰ ربه، ولهذا عدَّ هذا من آياته ودلائل نبوته، فهو كشفاعته يوم القيامة في الخلق، ولهذا أمر طالب الدعاء أن يقول: «**فشفعه فيّ، وشفعني فيه**». بخلاف قوله: «**وشفعني في نفسي**». فإن هذا اللفظ لم يروه أحد إلا من هذا الطريق الغريب.

وقوله: «**وشفعني فيه**»، رواه عن شعبة رجلان جليلان: عثمان بن عمر، وروح بن عبادة، وشعبة أجل من روىٰ هذا الحديث، ومن طريق عثمان بن عمر عن شعبة رواه الثلاثة: الترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن عثمان بن عمر، عن شعبة، ورواه ابن ماجه، عن أحمد بن يسار، عن عثمان بن عمر.

وقد رواه أحمد في المسند، عن روح بن عبادة، عن شعبة، فكان هؤلاء أحفظ للفظ الحديث، مع أن قوله: «**وشفعني في نفسي**»، إن كان محفوظًا مثل ما ذكرناه، وهو أنه طلب أن يكون شفيعًا لنفسه، مع دعاء النبي ﷺ، ولو لم يدع له النبي ﷺ كان سائلًا مجردًا كسائر السائلين.

ولا يُسمىٰ مثل هذا شفاعة، وإنما تكون الشفاعة إذا كان هناك اثنان يطلبان أمرًا فيكون أحدهما شفيعًا للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره.

فهذه الزيادة فيها عدة علل: انفراد هذا بها عمن هو أكبر وأحفظ منه، وإعراض أهل السنن عنها، واضطراب لفظها، وأن راويها عُرف له - عن روح هذا - أحاديث منكرة.

ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة، فلا حجة فيها؛ إذ الاعتبار بما رواه الصحابي، لا بما فهمه إذا كان اللفظ الذي رواه لا يدل علىٰ ما فهمه، بل علىٰ خلافه».

علىٰ كل حال هذا الحديث ليس فيه استشفاعٌ بذات الرسول ﷺ، ولا سؤالٌ به، وإقسامٌ به، فقول الأعمىٰ: «**أسألك بنبيك**». معناه أتوجه إلىٰ الله بدعاء نبينا محمد ﷺ، فالباء في قوله: «**بنبيك**» باء السبب، والمعنىٰ: أنه يسأل الله أن يقبل فيه دعاء نبيه؛ لأنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو الله له.

وأنت إذا تأملت ألفاظ الحديث وجدتها كلها تدل بوضوح دلالة صريحة علىٰ أن الأعمىٰ دعا الله وحده أن يتقبل دعاء نبيه له، ولم يدع النبي ﷺ، ولم يستشفع بذات النبي ﷺ، فتأمل قول الأعمىٰ للنبي ﷺ: «ادع الله لي»، وقال النبي ﷺ: «**إن شئت صبرت وإن شئت دعوتُ الله**»، قال الأعمىٰ: (فادعه). أي: ادع الله لي. فأجاب الأعمىٰ النبيَّ ﷺ بقوله: «ادعه». أي: ادع الله لي.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أرشده - النبي ﷺ - في هذا إلىٰ التوسل إلىٰ الله بالصلاة التي هي أفضل العبادات البدنية وأن يوحّده بالدعاء والمسألة في أن يقبل شفاعة نبيه: أي: دعاءه له».

---

(١) منهاج التأسيس، ص (١٢٢).

وقال أيضًا العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] **أيضًا:** «المقصود به شفاعته بالدعاء، كما كان يستغفر لأصحابه ويدعو لهم، وهذا هو الذي فهمه الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وناهيك به، فإنه قال: «كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا». وهو ﷺ في حياته كان يدعو لهم فتجاب دعوته، وبعد موته لا يشرع طلب الدعاء منه؛ لأن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عدل إلىٰ العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم ينكره منكر، ولم يذهب إلىٰ القبر الشريف أحد من أفاضل الأمة وأكابرها، مع أن قبره ﷺ بين ظهرانيهم، وهذا اتفاق منهم علىٰ تصويب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومتابعته».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٧٤هـ)**[2]: «وهذا يستدل به من توسل بذاته بعد موته وفي مغيبه، ويظنون أن توسل الأعمىٰ والصحابة به في حياته كان بمعنىٰ الإقسام به علىٰ ربه، أو بمعنىٰ أنهم سألوا الله بذاته ولا يحتاج هو أن يدعو لهم ولا إلىٰ أن يطيعوه، ويظنون أن كل من توسل بالرسول ﷺ كما توسل به ذلك الأعمىٰ مشروع له. وقول هؤلاء باطل شرعًا وقدرًا، فلا هم موافقون لشرع الله، ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله، ومنهم من يقول هذه قضية عين، فيثبت الحكم في نظائرها التي تشبهها في مناط الحكم، لا يثبت الحكم بها فيما هو مخالف لها لا مماثل لها، والفرق ثابت شرعًا وقدرًا بين من دعا له النبي ﷺ، وبين من لم يدع له، فلا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر، وهذا الأعمىٰ شفع له النبي ﷺ، ولهذا قال في دعائه «**اللهم فشفعه فيَّ**». فعُلم أنه شفع فيه، وكذلك قوله: «**إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك**». فقال: ادع لي. فدعا له، وقد أمره أن يُصلي ويدعو لنفسه

---

(١) منهاج التأسيس، ص (١٢٤).

(٢) ملخص الاستغاثة (١/ ١٤٩، ١٥٠).

أيضًا، فحصل الدعاء من الجهتين، وكذلك قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في استسقائه بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالنبي ﷺ علَّم رجلًا أن يتوسل به - أي: بدعائه في حياته -، كما ذكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم يتوسلون به إذا أجدبوا، ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلًا عنه، فلو كان التوسل به حيًّا وميتًا سواءً، والمتوسل به الذي دعا له الرسول كمن لم يدع له - لم يعدلوا عن التوسل به، وهو أفضل الخلق وأكرمهم علىٰ ربه، وأقربهم وسيلة إليه، وكذلك لو كان كل أعمىٰ، توسل به وإن لم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمىٰ لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمىٰ، ولو أن كل أعمىٰ دعا بدعاء ذلك الأعمىٰ وفعل كما فعل من الوضوء والصلاة بعد موت النبي ﷺ وإلىٰ زماننا هذا لم يوجد علىٰ وجه الأرض أعمىٰ، فعدول عمر والصحابة عن هذا إلىٰ هذا وما يشرع من الدعاء وينفع عما لا يُشرع ولا ينفع، وما يكون أنفع من غيره، وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون تفريج الكربات وتيسير الخير، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن - دليل علىٰ أن المشروع ما سلكوه دون ما تركوه». فالتوسل بالرسول ﷺ والتوسل بالعباس معناه طلب الدعاء منهما، بدليل أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلب من العباس أن يدعو لهم بالسقيا.

❁ ❁ ❁

ثالثًا: استدل المبتدعة بما رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: أنه علَّم الخارج إلىٰ الصلاة أن يقول في دعائه: «**وأسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا،**

فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا رياءً ولا سمعة، ولكن خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تدخلني الجنة، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتىٰ يقضي صلاته»[١].

والجواب عنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[٢]: «هذا الحديث من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد، وهو ضعيف بإجماع أهل العلم، وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف أيضًا، ولفظه لا حجة فيه، فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق العابدين أن يثيبهم، وهو حق أحقه الله تعالىٰ علىٰ نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، وبإيجابه علىٰ نفسه في أحد أقوالهم، وقد تقدم بسط الكلام علىٰ ذلك.

وهذا بمنزلة الثلاثة الذين سألوه في الغار بأعمالهم، فإنه سأله هذا ببره العظيم لوالديه، وسأله هذا بعفته العظيمة عن الفاحشة، وسأله هذا بأدائه العظيم للأمانة؛ لأن هذه الأعمال أمر الله بها ووعد الجزاء لأصحابها، فصار هذا كما حكاه عن المؤمنين بقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]».

فالجواب عن هذا الحديث من وجهين: الأول: أن سنده ضعيف. **ثانيًا:** لو صح

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢١)، وابن ماجه كتاب المساجد، باب المشي إلىٰ الصلاة (ص ١١١ - رقم ٧٧٨).

(٢) التوسل والوسيلة، ص (٢٧٣، ٢٧٤).

فمعناه التوسل إلىٰ الله بالعمل الصالح وهو المشي إلىٰ المسجد لأداء الصلاة، والتوسل بصفة من صفات الله وهي إجابة السائلين، فهو سميع مجيب[(١)].

❁ ❁ ❁

رابعًا: واستدل المبتدعة كذلك بما رواه عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هُزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم. فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٨٩][(٢)].

والجواب عنه: أن هذا خبر موضوع، فإن عبد الملك بن هارون بن عنترة كذّاب، ومتنه شديد النكارة، حيث جاء في سبب نزول الآية في يهود خيبر، ولم يثبت أن بينهم وبين اليهود قتال، وإنما نزلت في اليهود المجاورين للمدينة كبني قينقاع، وقريظة، والنضير[(٣)].

❁ ❁ ❁

خامسًا: ومما ينبغي التنبيه عليه ما استدل به المبتدعة من السؤال بمقتضىٰ حق الرحم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١].

---

(١) قاله العلامة صالح الفوزان حفظه الله.

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٣٦٣).

(٣) التوسل والوسيلة، ص (٢٨٧).

والجواب عنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «فمعنىٰ قوله «أسألك بالرحم»، ليس إقسامًا بالرحم - والقسم هنا لا يسوغ - لكن بسبب الرحم، أي: لأن الرحم توجب لأصحابها بعضهم علىٰ بعض حقوقًا، كسؤال الثلاثة لله تعالىٰ بأعمالهم الصالحة، وكسؤالنا بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ومن هذا الباب ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ابن أخيه عبد الله بن جعفر كان إذا سأله بحق جعفر أعطاه.

وليس هذا من باب الإقسام، فإن الإقسام بغير جعفر أعظم، بل من باب حق الرحم؛ لأن حق الله إنما وجب بسبب جعفر، وجعفر حقه علىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

❁ ❁ ❁

سادسًا: واستدل المبتدعة كذلك بما نسبوه كذبًا إلىٰ النبي ﷺ أنه قال: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور. أو: فاستعينوا بأهل القبور».

والجواب عنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٢)]: «فهذا الحديث كذب مفترًىٰ علىٰ النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يُوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة».

وقال[(٣)]: «فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء».

❁ ❁ ❁

سابعًا: وتعلق القبوريون بأن أهل المدينة قُحطوا قحطًا شديدًا، فشكوا إلىٰ

---

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣٣٦).

(٢) التوسل والوسيلة، ص (٣٥٧).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٦).

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كِوًى إلىٰ السماء، حتىٰ لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا فمطروا مطرًا حتىٰ نبت العشب، وسمنت الإبل حتىٰ تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق[1].

والجواب عنه: أن هذا الأثر شديد الضعف والنكارة سندًا ومتنًا، والجواب عنه من وجوه:

الأول: الأثر في إسناده عمرو بن مالك النكري، قال أبو يعلىٰ: «كان ضعيفًا»[2]. وقال ابن عدي[3]: «منكر الحديث عن الثقات، ويسرق الحديث».

الثاني: متنه منكر جدًّا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[4]: «ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يكن للبيت كوة، بل كان بعضه باقيًا كما كان علىٰ عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف، وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن النبي ﷺ صلىٰ العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد»، ولم تزل الحجر خارج مسجد الرسول ﷺ، وكان نائبه علىٰ المدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وكانت حجر أزواج النبي ﷺ مشرقي المسجد وقبليّه، فأمره أن يشتريها من ورثة أزواج النبي ﷺ، فاشتراها وأدخلها في المسجد، فزاد في قبلي المسجد وشرقيه. ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، وإلا فهي قبل ذلك كانت خارجة

---

(١) رواه الدارمي (١/ ٢٢٧ - رقم ٩٣).

(٢) الكامل في الضعفاء (٥/ ١٧٩٩).

(٣) الكامل في الضعفاء (٥/ ١٧٩٩).

(٤) تلخيص الاستغاثة لابن كثير (١/ ١٤٦).

عن المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته، ثم إنه بنىٰ حول حجرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا التي فيها القبر جدارًا عاليًا، وبعد ذلك جعلت الكوة؛ لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلىٰ ذلك لأجل كنس أو تنظيف».

الثالث: الأثر في غير محل الخلاف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)(١): «إن هذا الفعل ليس حجة علىٰ محل النزاع، سواء كان مشروعًا أو لم يكن، فإن هذا استنزال للغيث علىٰ قبره، والله تعالىٰ ينزل رحمته علىٰ قبور أنبيائه وعباده الصالحين، وليس في ذلك سؤال لهم بعد موتهم، ولا طلب، ولا استغاثة بهم، والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبيًّا أو وليًّا ليس مشروعًا، ولا هو من صالح الأعمال؛ إذ لو كان مشروعًا أو حسنًا من العمل لكانوا به أعلم، وإليه أسبق، ولم يصح عن أحد من السلف أنه فعل ذلك».

الرابع: قلب الدليل علىٰ القبوريين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)(٢): «ولو صح ذلك، لكان حجةً ودليلًا علىٰ أن القوم لم يكونوا يُقسمون علىٰ الله بمخلوق، ولا يتوسلون في دعائهم بميت، ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا علىٰ القبر؛ لتتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه، فأين هذا من هذا؟!

والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه أو بعمله، فإن الله تعالىٰ يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام علىٰ نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته، فهذه الأمور التي يحب الله أن نتوسل بها إليه».

---

(١) تلخيص الاستغاثة لابن كثير (١/ ١٤٥، ١٤٦).

(٢) تلخيص الاستغاثة لابن كثير (١/ ١٤٦، ١٤٧).

الخامس: هذا الأثر كما ترىٰ متنه شديد النكارة جدًّا، ومن نكارته أيضًا مخالفته للمعلوم من سيرة النبي ﷺ وصحابته إذا قحطوا، فالصحابة قُحطوا قحطًا شديدًا في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أعظم ما كان من القحط وسمي عامهم ذلك بعام «الرمادة»، ومع ذلك ما استسقوا بقبر النبي ﷺ، وإنما استسقوا بدعاء العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك في عهد النبي ﷺ أصابتهم «دافة» – يعني: مجاعة – فنهىٰ النبي ﷺ عن ادّخار اللحوم فوق ثلاث.

وسُنَّة النبي ﷺ واضحة معلومة في حال القحط الاستسقاء بالدعاء إلىٰ الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[١]: «والثابت عن الصحابة باتفاق أهل العلم أنهم كانوا إذا استسقوا دعوا الله، إما في المسجد وإما في الصحراء، وهذا الاستسقاء المشروع باتفاق أهل العلم، فإنهم اتفقوا علىٰ دعاء الله واستغفاره، واختلفوا هل يُصلىٰ للاستسقاء؟ علىٰ قولين، وجمهورهم علىٰ أنه يصلىٰ له، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد، وأما أبو حنيفة فلم يعرف الصلاة في الاستسقاء، والجمهور عرفوا ذلك بما قيل في الصحاح والسنن والمسانيد أن رسول الله ﷺ صلىٰ في الاستسقاء ركعتين، والصحابة في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره صلوا واستشفعوا بالعباس وغيره، ولم يكشفوا عن قبره، ولو كان مشروعًا لما عدلوا عنه.

وهذا العلم العام المتفق عليه لا يعارض بما يرويه ابن زبالة وأمثاله، ممن لا يجوز الاحتجاج به، ولو قال عالم: يستحب عند الاستسقاء أو غيره أن يكشف عن

---

(١) تلخيص الاستغاثة لابن كثير (١/ ١٤٥).

قبر النبي ﷺ، أو غيره من الأنبياء والصالحين - لكان مبتدعًا بدعةً مخالفة للسُّنَّة المشروعة عن رسول الله ﷺ، وعن خلفائه».

وعن سالم أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبره أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عام الرمادة - وكانت سنة شديدة ملمة - بعدما أجهد في إمداد العرب بالإبل وبالقمح والزيت من الأرياف كلها، بلحت الأرياف مما جَهدَها. فقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: اللهم اجعل رزقهم علىٰ رءوس الجبال آية. فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزل به الغيث: الحمد لله، فوالله لو أن الله لم يفرجها ما تركتُ بأهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلتُ عليهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام علىٰ ما يقيم واحدًا[1].

❁ ❁ ❁

ثامنًا: وتعلق القبوريون بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

ومن الواهيات التي تعلّق بها القبوريون حول الآية ما ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مثير العزم الساكن وغيرهما بأسانيدهم إلىٰ محمد بن حرب الهلالي يقال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست حذاءه فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا، قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلىٰ ربي. ثم بكىٰ، وأنشأ يقول:

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٨٩ - رقم ٥٦٢) بإسناد صحيح.

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكمُ
نفسي الفِداء لقبر أنت ساكِنه فيه العفاف وفيه الجود والكَرَمُ

ثم استغفر وانصرف، فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي، وهو يقول: الْحَقِ الرجل، فبشره أن الله قد غفر له بشفاعتي. فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده.

والجواب عن ذلك كما قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٤٤هـ)**(١):

«هذه الحكاية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب، عن أبي الحسن الزعفراني، عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الإيمان بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري: حدثني أبو حرب الهلالي قال: حج أعرابي فلما جاء إلىٰ باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتىٰ أتىٰ القبر... ثم ذكر نحو ما تقدم، وقد وضع لها بعض الكذابين إسنادًا إلىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كما سيأتي ذكره.

وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما يقوم به حجة، وإسنادها مظلم مختلق، ولفظها مختلف أيضًا، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة علىٰ مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد علىٰ مثلها عند أهل العلم».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن الإنسان إذا ظلم نفسه لا يجوز له أن يذهب إلىٰ قبر النبي ﷺ ليستغفر الله عنده؛ لأن الآية المراد بها في حياته،

---

(١) الصارم المنكي، ص (٢٥٣).

(٢) تفسير سورة النساء (١/ ٤٨٥، ٤٨٦).

لكن مع ذلك استدل بها أهل الغلو علىٰ أن الإنسان ينبغي له إذا أذنب ذنبًا أن يأتي إلىٰ القبر النبوي فيستغفر الله، ويستغفر له الرسول ﷺ، واستدلوا بذلك بقصة مكذوبة، وهي: أن رجلًا أعرابيًّا جاء إلىٰ قبر النبي ﷺ، وأنشد:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه ....

إلىٰ آخر البيتين، فلما نام رأىٰ النبي ﷺ، وقال له: إن الله قد غفر لك.

وهذه قصة مكذوبة، والآية تدل علىٰ بطلان هذا القول؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾، و﴿إِذ﴾ للماضي، ولو قال: «إذا ظلموا». ربما يكون فيها شبهة، علىٰ أنه لو قال: إذا ظلموا لم يكن فيها دليل؛ لأن قوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، يمنع أن يكون ذلك بعد موته قطعًا؛ إذ إن الرسول ﷺ لا يمكن أن يستغفر لهم بعد موته».

❁ ❁ ❁

تاسعًا: وتعلق القبوريون كذلك بأحاديث السلام علىٰ رسول الله ﷺ، وأن الله يرد الروح إليه؛ ليرد علىٰ من سلّم عليه من أمته.

والجواب: إن هذه أحاديث صحيحة، ومعناها ثابت بهذا المقدار، لكنّ المبتدعة رتّبوا عليها أمورًا غير صحيحة، ولا يدل عليها ألفاظ هذه الأحاديث بحال، حيث جوّزوا الاستغاثة بالنبي ﷺ بدليل رد الروح عليه، كذا زعموا!!

وهنا لا بد من سياق هذه الأحاديث، ثم التعليق عليها بما تقتضيه دلالتها.

فعن أوس بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، وفيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ**». قالوا: يا رسول الله، كيف تُعرض

صلاتنا عليك وقد أرمت - قال: يقولون: بليت -. قال: **«إن الله حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني»**[(٢)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»**[(٣)].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: **«أكثروا عليَّ الصلاة يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لا يصلي عليَّ إلا عُرضت عليَّ صلاته حتىٰ يفرغ.** قال: قلت: وبعد الموت؟ **قال: إن الله حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة (ص١٥٩ - رقم ١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة علىٰ النبي ﷺ يوم الجمعة (ص ١٩٤ - رقم ١٣٧٥)، وابن أبي عاصم في الصلاة علىٰ النبي ﷺ (ص ٤٩، ٥٠)، وصححه ابن خزيمة (رقم ١٧٣٣، ١٧٣٤)، وصححه الحافظ ابن عبد الهادي، وقال: «رواته كلهم مشهورون بالصدق والأمانة والثقة والعدالة، ولذلك صححه جماعة من الحفاظ كأبي حاتم ابن حبان، والحافظ عبد الغني المقدسي، وابن دحية، وغيرهم، ولم يأت من تكلم فيه وعلل بحجة بيّنة». الصارم المنكي، ص (٢١٠).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود (ص - رقم ٢٠٤٢) وحسنه شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٠).

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٤١)، والنسائي كتاب السهو، باب التسليم علىٰ النبي ﷺ (ص ١٧٩ - رقم ١٢٨٣). وصححه ابن عبد الهادي في الصارم المنكي، ص (٢٠٣).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (ص ٢٣٤ - رقم ١٦٣٧) من طريق زيد بن أيمن، عن عبادة بن نسي، عن أبي الدرداء.

=

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ[(١)]: «**ما من أحد يُسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام**».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وقال بعضهم: إذا كان الله يرد إلىٰ نبيه ﷺ روحه ليرد السلام، وكذلك إن الأنبياء ليسوا بموتىٰ في قبورهم - فلذلك ندعوهم سواء في حياتهم أو في مماتهم.

والجواب: أن هذا من أمور الغيب، يقتصر فيها علىٰ ما ذكرنا، فنقول: إن الله يرد روح الرسول ﷺ ويرد السلام، لكن لا نتجاوز هذا، وإلا لقلنا له: كيف أصبحت اليوم؟! وما أشبه ذلك. ثم الحياة البرزخية غير الحياة الدنيوية، حتىٰ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، لكن حياة البرزخ غير حياة الدنيا، وإلا لقلنا: إن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جنوا جناية عظيمة علىٰ الرسول ﷺ حيث دفنوه، وهو حي».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «وفي الجملة رد الروح علىٰ الميت في البرزخ، ورد السلام علىٰ من يسلم عليه لا يستلزم الحياة التي يظنها بعض الغالطين،

=

قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحديث فيه إرسال، فإن عبادة بن نسي لم يدرك أبا الدرداء، وزيد بن أيمن شيخ مجهول الحال». الصارم المنكي، ص (٢١٤).

ونقل عن البخاري في التاريخ الكبير أن زيد بن أيمن لم يسمع من عبادة بن نسي.

(١) رواه أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (ص ٢٩٥ - رقم ٢٠٤١)، قال ابن عبد الهادي: «هو أجود ما استدل به في هذا الباب، ومع هذا فإنه لا يسلم من مقال في إسناده». الصارم المنكي ص (١٨٩).

(٢) تفسير سورة النساء (١/ ٤٨٦، ٤٨٧).

(٣) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (٢٢٥).

وإن كانت نوع حياة برزخية، وقول من زعم أنها نظير الحياة المعهودة مخالف للمنقول والمعقول، ويلزم منه مفارقة الروح للرفيق الأعلىٰ، وحصولها تحت التراب قرنًا بعد قرن، والبدن حي مُدرك سميع بصير تحت أطباق التراب والحجارة، ولوازم هذا الباطلة مما لا يخفىٰ علىٰ العقلاء.

وبهذا يعلم بطلان تأويل قوله: «إلا ردّ الله عليَّ روحي». بأن معناه: إلا وقد ردّ الله عليَّ روحي، وإن ذلك الرد مستمر، وأنه أحياه الله قبل يوم النشور، وأقره تحت التراب واللبن، فيا ليت شعري هل فارقت روحه الكريمة الرفيق الأعلىٰ؟ واتخذت ببيت تحت الأرض مع البدن، أم في الحال الواحد هي في المكانين؟

وهذا التأويل المنقول عن البيهقي في هذا الحديث قد تلقاه عنه جماعة من المتأخرين، والتزموا لأجل اعتقادهم له أمورًا ظاهرة البطلان، والله الموفق للصواب».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٤هـ)[١] **أيضًا**: «فإن قوله: «**إلا ردّ الله عليَّ روحي**». بعد قوله: «**ما من أحد يُسلم عليَّ**» يقتضي رد الروح بعد السلام، ولا يقتضي استمرارها في الجسد.

وليعلم أن رد الروح إلىٰ البدن وعودها إلىٰ الجسد بعد الموت لا يقتضي استمرارها فيه، ولا يستلزم حياة أخرىٰ قبل يوم النشور نظير الحياة المعهودة، بل إعادة الروح إلىٰ الجسد في البرزخ إعادة برزخية، لا تزيل عن الميت اسم الموت.

وقد ثبت في حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل المشهور في عذاب القبر ونعيمه في شأن الميت وحاله - أن روحه تعاد إلىٰ جسده، مع العلم بأنها غير مستمرة فيه، وأن هذه الإعادة ليست مستلزمة لإثبات حياة مزيلة لاسم الموت،

(١) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي، ص (٢٢٢، ٢٢٣).

بل هي من أنواع حياة برزخية، والحياة جنس تحتها أنواع، وكذلك الموت، فإثبات بعض الحياة، لا يزيل اسم الموت كالحياة البرزخية، وإثبات بعض أنواع الموت لا ينافي الحياة، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من النوم قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»».

علىٰ كل حال هذا الحديث لا يدل علىٰ أن النبي ﷺ يسمع استغاثة المستغيثين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[(١)]: «فهذه النصوص التي ذكرناها تدل علىٰ أنه يسمع سلام القريب، ويبلَّغ سلام البعيد وصلاته، لا أنه يسمع ذلك المصلي والمسلِّم، وإذا لم يسمع الصلاة والسلام من البعيد إلا بواسطة فإنه لا يسمع دعاء الغائب واستغاثته بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، والنص إنما يدل علىٰ أن الملائكة تبلغه الصلاة والسلام، ولم يدل علىٰ أنه يبلغه غير ذلك».

والنبي ﷺ قد زجر عن الاستغاثة به حال حياته، وقال: «**إنه لا يستغاث بي**»، فهو لا يستغاث به بعد موته من باب أولىٰ[(٢)].

❁ ❁ ❁

عاشرًا: ومن الشبهات التي تعلق بها الغلاة في القبور ما رواه أبو محمد عبد الرحمن بن المرزبان الجلان: حدثنا أبو العباس ابن الفضل بن العباس، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي البختري عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلَّىٰ عليَّ عند

---

(١) تلخيص الاستغاثة (١/ ١٥٣، ١٥٤).

(٢) **قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله**: «بل هو ﷺ يقدر علىٰ منع المنافق من أذيتهم، لكنه أراد أن يعلم أصحابه عدم الغلو في الألفاظ، وليسد الوسيلة إلىٰ الشرك بالاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله».

قبري رددْتُ عليه، ومن صلَّىٰ في مكان آخر بلغونيه».

والجواب كما قال الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٤٤هـ)**(١): «هذا حديث موضوع لا أصل له من حديث عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأبو البختري هو: وهب بن وهب القاضي، وهو كذاب يضع الحديث باتفاق أهل المعرفة بالحديث».

ثم نقل ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي البختري، قال فيه أحمد بن حنبل: كان أبو البختري يضع الحديث وضعًا. وقال أيضًا: أبو البختري أكذب الناس. وقال إسحاق بن راهويه: كان كذابًا. وقال يحيىٰ بن معين فيه: كذاب. وقال الفلاس: كان يكذب، ويُحدّث بما ليس له أصل. وقال أبو حاتم الرازي: كان كذّابًا(٢).

❁ ❁ ❁

حادي عشر: وتعلق بعضهم بما ورد عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يستلم رمانة منبر النبي ﷺ، ويتمسح بقبره.

والجواب: أن نقول هذا موقوف علىٰ ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنكر هذا في رواية أخرىٰ هي المعتمدة؛ لأنها هي الموافقة لعمل عامة الصحابة.

فقد ساق الحافظ الذهبي من طريق محمد بن عاصم: نا أبو أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أنه كان يكره مسَّ قبر النبي ﷺ»(٣).

---

(١) الصارم المنكي، ص (٢٢٠).

(٢) الصارم المنكي، ص (٢٢٠، ٢٢١).

(٣) معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣).

وعلل الذهبي نهي ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لأنه إساءة أدب[(١)]، وهذا المعلوم المشهور الثابت عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[(٢)]: «ذكر مالك في الموطأ أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان إذا أتىٰ قبر النبي ﷺ صلىٰ عليه، وعلىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي رواية عنه: كان يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف».

قال أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل -: قبر النبي ﷺ يمس ويتمسح به؟ فقال: ما أعرف هذا. قلت له: فالمنبر؟ فقال: أما المنبر فنعم، قد جاء فيه، قال أبو عبد الله: شيء يروونه عن ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه مسح علىٰ المنبر، قال: ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة[(٣)].

وعلّق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله[(٤)]: «فأما اليوم فقد احترق المنبر، وما بقيت الرمانة، وإنما بقي من المنبر خشبة صغيرة، فقد زال ما رخص فيه؛ لأن الأثر المنقول عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره، وإنما هو التمسح بمقعده».

قال العلامة الوالد صالح الفوزان حفظه الله: «فما لامس جسمه ﷺ أو انفصل منه لم يختلف عن غيره، ولم يبق من ذلك شيء».

علىٰ كل حال شبهات القبوريين كما ترىٰ غاية في التهافت والضعف، وأصل

---

(١) معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١١٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٤٤).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٤٥).

ضلال القبوريين يرجع إلىٰ عدم تمييزهم بين المطلوب منه والمطلوب به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[1]: «الفرق واضح بين السؤال بالشخص، والاستغاثة به، وأريد أن أعرِّف من أين دخل اللبس علىٰ هؤلاء الجهّال؟

فإن معرفة المرض وسببه يعين علىٰ مداواته وعلاجه، ومن لم يعرف أسباب المقالات - وإن كانت باطلة - لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم، فوقع لي أن سبب هذا الضلال والاشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال: سألت الله بكذا - كما في الحديث -: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد أنت المنان**»، الاستغاثة تتعدىٰ بنفسها كما يتعدىٰ السؤال كقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وقوله: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، فظنوا أن قول القائل: استغثت بفلان. كقوله: سألت بفلان. والمتوسل إلىٰ الله بغائب أو ميت تارة يقول: أتوسل إليك بفلان. وتارة يقول: أسألك. فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة، فإما أن يقول: أستغيثك بفلان. أو أستغيث إليك بفلان. ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب.

وأصل الشبهة علىٰ هذا التقدير أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به، التي يكون المضاف بها مستغاثًا مدعوًّا مسئولًا مطلوبًا منه، وبالاستغاثة المحضة من الإغاثة التي يكون المضاف بها مطلوبًا به لا مطلوبًا منه، فإذا قيل: توسلت به. أو: سألت به. أو: توجهت به. فهي الاستغاثة، كما تقول: كتبت بالقلم. وهم يقولون: أستغيثه، واستعنت به من الإغاثة. كما يقولون: استغثت الله، واستغثت به. من

(١) تلخيص الاستغاثة لابن كثير (١/ ١٥٨، ١٥٩).

الغوث، فالله في كلا الموضعين مسئول مطلوب منه.

وإذا قالوا لمخلوق استغثته واستغثت به من الغوث، كان المخلوق مسئولًا مطلوبًا منه، وأما إذا قالوا استغثت به من الإغاثة، فقد يكون مسئولًا، وقد لا يكون مسئولًا، وكذلك استنصرته واستنصر به، فإن المستنصر يكون مسئولًا مطلوبًا، وأما المستنصر به فقد يكون مسئولًا وقد لا يكون مسئولًا.

فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسُّنَّة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنىٰ الطلب من المستغاث به، وقول القائل: استغثت فلانًا، واستغثت به. معنىٰ طلبت منه الإغاثة، لا بمعنىٰ توسلت به، فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله».

❁ ❁ ❁

الثاني عشر: وتعلق القبوريون بقصص لا تثبت عن الأئمة المتبوعين، كالذي يُنسب للإمام مالك والإمام الشافعي رحمهما الله.

والجواب عنها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ)[(١)]:

«والحكاية التي تُذكر عن مالك أنه قال للمنصور لما سأله عن استقبال الحجرة فأمره بذلك، وقال: «هو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم». كذب علىٰ مالك ليس لها إسناد معروف، وهو خلاف الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه، كما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي، مثل ما ذكروا عنه أنه سُئل عن أقوام يطيلون القيام، مستقبلي الحجرة، يدعون لأنفسهم؟ فأنكر مالك ذلك، وذكر أنه من البدع التي لم يفعلها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقال: «لا يصلح آخر

(١) التوسل والوسيلة، ص (٣٥٣، ٣٥٤).

هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

ولا ريب أن الأمر كما قاله مالك، فإن الآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين تبين أن هذا لم يكن من عملهم وعادتهم، ولو كان استقبال الحجرة عند الدعاء مشروعًا، لكانوا هم أعلم بذلك، وكانوا أسبق إليه ممن بعدهم.

والداعي يدعو الله وحده، كما نهىٰ عن استقبال الحجرة عند دعائه لله تعالىٰ، كما نهىٰ عن استقبال الحجرة عند الصلاة لله تعالىٰ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي مرثد الغنوي أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا علىٰ القبور، ولا تصلوا إليها**». فلا يجوز أن يصلىٰ إلىٰ شيء من القبور، لا قبور الأنبياء ولا غيرهم، لهذا الحديث الصحيح، ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يُشرع أن يقصد الصلاة إلىٰ القبر، بل هذا من البدع المحدثة، وكذلك قصد شيء من القبور لا سيما قبور الأنبياء والصالحين عند الدعاء، وإذا لم يجز قصد استقباله عند الدعاء لله تعالىٰ، فدعاء الميت نفسه أولىٰ ألا يجوز، كما أنه لا يجوز أن يصلي مستقبله، فلئلا يجوز الصلاة له بطريق الأولىٰ».

❁ ❁ ❁

الثالث عشر: وتعلق القبوريون بما رواه الخطيب البغدادي من طريق مُكْرَم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم، قال: نبأنا علي بن ميمون، قال: سمعت الشافعي يقول[1]: «إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجيء إلىٰ قبره في كل يوم - يعني زائرًا - فإذا عَرَضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلىٰ قبره، وسألت الله تعالىٰ الحاجة عنده، فما تبعد عني حتىٰ تقضىٰ».

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ١٢٣).

والجواب عن ذلك كما قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

«فهذه رواية ضعيفة، بل باطلة، فإن عمر بن إسحاق بن إبراهيم غير معروف، وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال، ويحتمل أن يكون هو «عمرو - بفتح العين - بن إسحاق بن إبراهيم بن حميد بن السكن أبو محمد التونسي»، وقد ترجمه الخطيب (١٢/ ٢٢٦)، وذكر أنه بخاري قدم بغداد حاجًّا سنة (٣٤١)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، فهو مجهول الحال، ويبعد أن يكون هو هذا؛ إذ إن وفاة شيخه علي بن ميمون سنة (٢٤٧)، علىٰ أكثر الأقوال، فبين وفاتيهما نحو مائة سنة، فيبعد أن يكون قد أدركه، وعلىٰ كل حال فهي رواية ضعيفة، لا يقوم علىٰ صحتها دليل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٨هـ)**[(٢)]: «هذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا علىٰ عهد الشافعي معروفًا، وقد رأىٰ الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة، وأمثاله من العلماء، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟ ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه، مثل أبي يوسف، ومحمد، وزفر، والحسن بن زياد، وطبقتهم - لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة، ولا غيره.

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/ ٣١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٠٦، ٢٠٧).

ثم قد تقدم عن الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه».





الخاتمة

هكذا انتهىٰ بنا المقام في ذكر الأدلة علىٰ حجية العمل بالتجربة من الكتاب والسنة، ومحل حجيته في المسكوت عنه، وحذرنا من التقدم بين يدي الله ورسوله بدعوىٰ التجربة، فالله خلق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقد يسّر الله دحض شبهة من يزعم أن التجربة برهنت علىٰ أن الموتىٰ يقضون حاجات المستغيثين بهم من مائة وجه، وهذا كله يدل علىٰ أن حقائق التوحيد واضحة جلية، وأن باطل الشرك أوهام ومغالطات لا قرار لها.

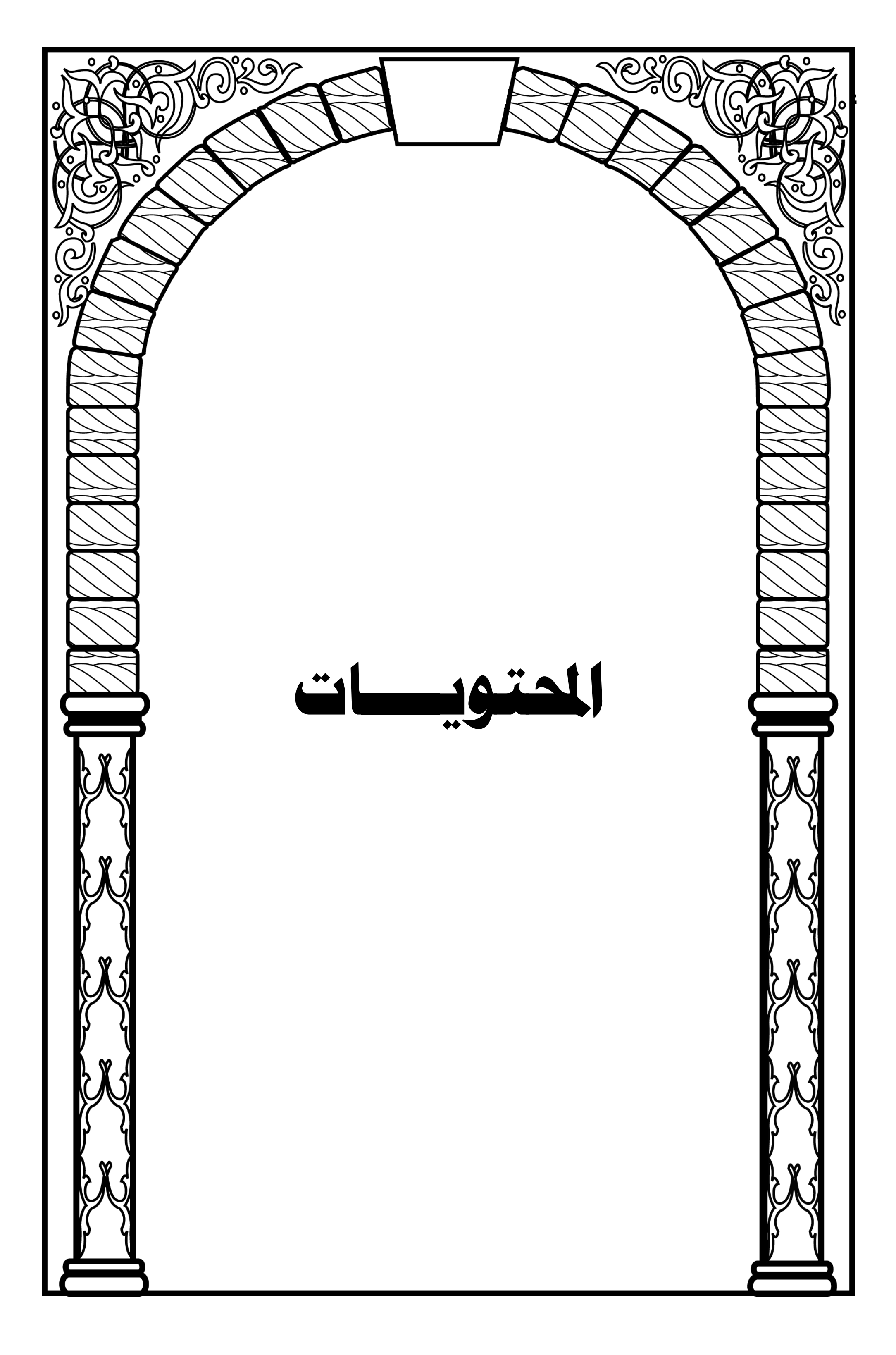
وواجب طلبة العلم جميعًا حراسة الشريعة عمومًا والعقيدة خصوصًا، وهذا ميثاق الله علىٰ حملة العلم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وهو من نصرة الإسلام وحفظه، ومن تجديد الدين، والنصيحة لله ورسوله والخلق أجمعين.

فدعاة التوحيد ناصحون للخلق، يحفظون عليهم أديانهم وموجبات حسن عاقبتهم في الدار الآخرة بالنجاة من النار، والخلود في الجنة دار الأبرار، والقبوريون غاشون للخلق، يسوقونهم إلىٰ فساد دينهم ودنياهم، ويوقعونهم في ورطات الشرك، ويستزلونهم من واضح المحجة الوحي المعصوم إلىٰ أغلوطاتهم التي من أركس فيها فقد هوىٰ، ولا أحد يركب هذا الطريق إلا من ضعف تعظيم الله في نفسه، وهان عليه الشرك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فالحمد لله علىٰ نعمة الإسلام والسُّنَّة، والحمد لله علىٰ تيسيره أسباب كشف ضلالات وتمويهات دعاة الضلال، وجزىٰ الله خيرًا علماء أهل السُّنَّة الظاهرين القائمين بالحق علىٰ نصحهم للخلق، خصوصًا شيوخنا الذين عنهم أخذنا العلم والهدىٰ، فكانوا حقًّا وسائل خير وهدًىٰ.

والله أعلم.





المحتويـــات



المحتويات

الموضوع — الصفحة

الباب الثاني
حكم التجربة في الاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله

شبهات القبوريين في الاستغاثة بغير الله

